الشيب والشباب في الشعر العربي القديم

د. زينب عبد العزيز العمري
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ببنها

الشيب والشباب من الموضوعات التي أفاض فيها الشعراء القدامى ، فلا يخلو ديوان شاعرمن ذكر الشباب وفتوته أو جماله والحنين إليه ، وتمني دوامه ، ومنهم من ذمه لما يسم به صاحبه من صفات مكروهة ، كالرعونة والطيش ، وقلة الخبرة ، كما أسرفوا في ذكر شباب المرأة ، فموضوع الغزل يركز علي شباب المرأة لأنه عماد جمالها ، وسر بهائها ونضارتها ، فالشباب هو مفتاح النسيب ، ولذلك قيل عن ترقيق أول الشعر بذكر النساء " تشبيب " (١) ، فشبب بالمرأة أي قال فيها الغزل ، فكأنه يشعل عاطفة الحب ويوقدها ، فهم يقولون " شب النار والحرب أوقدها " (٢) .

كما تحدثوا عن الشيب ، وهو بياض الشعر فمدحوه ، وذموه كثيرا ، ويقال رجل أشيب ، ولا توصف المرأة بشيباء ، ولكن يقال : شاب رأسها (٣) .

ولقد ذم العرب الشيب لأنه نذير الموت ، وعنوان الكبر (٤) ، ولقد عقد ابن عبد ربه للشيب فصلا في الجزء الثاني من العقد الفريد من كتاب الياقوتة في العلم والأدب ، وذكر طائفة كبيرة من الأقوال المأثورة عن الشيب والشباب للرسول صلي الله عليه وسلم ، ولبعض الصحابة كابن عباس ، ولبعض الأعراب ، وعلماء العربية وأدبائها ، كأبي العلاء والأصمعي وأبي عبيدة ، وكذلك ذكر مجموعة كبيرة من الشعر لكثير من الشعراء كأبي تمام وأبي العتاهية ، ومحمود الوراق ، ومحمد ابن أمية ، ومن شعره هو - أي ابن عبد ربه - وجرير وصريع الغواني ولأبي

نواس وابن مناذر ، وسفيان الثوري ، والغزال ولبيد وعدي بن زيد ، كما ذكر طرفا من أحاديث الخلفاء مع جلسائهم كعبد الملك بن مروان ، وحديث معاوية مع أبي الأسود الدؤلي ، وهو حديث طريف ، فقد دخل أبو الأسود علي معاوية وقد خضب فقال له : " لقد أصبحت يا أبا الأسود جميلا ، فلو علقت تميمة ، فأنشأ أبو الأسود يقول :

أفْنَى الشَّبابُ الذي فارقْتُ بَهْجَتَهُ ... مَرُّ الجَدِيدَيْنِ مـن آتٍ ومُنطَلِقِ

لَمْ يُبْقِيَا لِي مِنْ طولِ اخْتِلافِهِما ... شيئاً يخافُ عليهِ لَذْعَةَ الحَدَقِ (٥)

والشيب والشباب صفتان متلازمتان ، فأحدهما مقدمة الثاني ، والثاني نتيجة حتمية للأول ، يقول الله سبحانه وتعالي : " ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا " (٦) ، وقوله سبحانه وتعالي : " ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة " (٧) .

وهذا التلازم البيولوجي يقابله تشابه لغوب ، فالجناس واضح في الاسم شَابٌ والفعل شَابَ ، واللفظتان – في الوقت ذاته – بعيدتان عن بعضهما بعد الضد من ضده (٨) ، هذا التنازع اللغوي بين التشابه والتضاد له نظير نفسي ، فالشباب والشيب يتنازعان المرء لفترة غير قصيرة ، وبخاصة إذا كان من المعمرين ، أو من عشاق الحياة ومريديها ، فعلامات الشيب ونذره ومقدماته لم تمنع كثيرا من الشعراء من الشعور بتدفق الشباب في أجسادهم وأرواحهم علي السواء ، كما أن حداثة السن وفتوة الشباب لم تمنع الشعراء الشباب من ادعاء حكمة ورزانة وعقل الشيوخ ، واللغة اختراع عبقري طيع في يد من يحذقونه من الأدباء والشعراء وعلماء اللغة ، وهؤلاء جميعا خلفوا لنا تراثا ضخما يشير إلي هاتين الظاهرتين ، التشابه والتضاد

عند التعبير عن الشيب والشباب ، وسوف يكون من المفيد تتبع هاتين الظاهرتين بالنسبة للشعر العربي قديمه وحديثه ، ولكن هذا البحث سوف يعرض للشعر القديم فحسب ، ولسنا بصدد عقد مقارنة أساسها التفضيل بين الشيب والشباب ، وأيهما كان في بؤرة اهتمام الشعراء القدامي ، كما أن هذا البحث لن يعني باحصاء أو استقصاء كل ما كتب عن هذين الموضوعين ، فالمفاضلة بينهما لن يكون لها معني ، إذ أن الشاعر كان أحيانا يعلي من شأن الشباب علي حساب الشيب والعكس صحيح، وأحيانا لا يفضل أحدهما علي الآخر ، بل تتساوي كفتا الموضوعين لديه ، كقول الشاعر (٩) :

فوافَيْناهُـمْ مِنّـا بجمـــــعٍ كأُسْدِ الْغابِ : مـردانٍ وشيبِ

وكقوله أيضا : (١٠)

بَنِي أسدٍ مـا بـالُ آلِ خُوَيلـدٍ يَحِنُّونَ شوقاً كلَّ يوم إلي الْقِبْطِ
إذا ذُكِرَتْ قَهْقاءُ حنّوا لِذِكْرِها والرمثِ الْمقرونِ والسمـكِ الرَّقْـطِ
وأعْيُنُهُـمْ مِثْل الزّجـاجِ وصيفَة تُخالِفُ كعباً في لحيٍّ لَهُمْ شـطّ
تَرَي ذاكَ في الشّبانِ والْمردِ مِنْهُمُ مبيناً وفي الأطفالِ مِنْهُمَ وفي الشَّمْطِ

وعنترة بن شداد يري أنه فارس الحرب من بدايتها حتي نهايتها ، فلو ان الحرب تلد كما تلد النساء لكان ولدها البكر والأوسط والصغير ، يقول (١١) :

والخيلُ تعلَمُ والفوارسُ أنّنـي شَيْخُ الْحروبِ وكَهْلُها وفَتَاهـا

وعنترة في الحرب - من شجاعته - لا يفرق بين الشباب والشيب ، يقول : (١٢)

مَتَى سلَّ في كَفّي بِيَوْمٍ كَرِيهةٍ فلا فَرْقَ ما بَيْنَ المشايخِ والمرْدِ

والشاعر يمدح القبيلة بأسرها ، كهولها وشبانها ، يقول : (١٣)

وكهـولٍ ذَوِي نـدًى وحُلـومٍ وَشَبابٍ أنْجادِ غُلْبِ الرِّقـابِ

ويقول الأعشى : (١٤)

من شبابٍ تراهُمْ غيرُ ميلٍ وكهولاً مَراجِحاً أحْلامـا

ويقول السموأل مفاخرا : (١٥)

وما قَلَّ مَنْ كانَتْ بقايَاهُ مِثْلَنا شَبابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وكُهُـولُ

ويقول عامر بن الطفيل : (١٦)

لنا في الرَّوْعِ أبْطالٌ كِـرَامٌ إذَا مَا الخَيْلُ جَدَّ بِهَا الصَّهِيلُ

عَلَى جُـرْدٍ مُسَوَّمَـةٍ عِتَـاقٍ تَوَقَّصُ بالشَّبـابِ وبالكُهُـولِ

ويقول عمرو بن كلثوم : (١٧)

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذاتَ حَدٍّ مُحافظةً وكنّـا السَّابِقِينَـا

بفتيانٍ يَـرَوْنَ القتلَ مَجْـداً وشِيبٍ في الحروبِ مُجَرَّبِينَا

وتتساوي كفتا الشيب والشباب في قول نابغة بني جعدة : (١٨)

نَدَامَايَ عندَ المنذرِ بْن مُحَرِّقٍ أرَي اليومَ مِنْهُمْ ظاهرَ الأرضِ مُقْفِرَا

كهولاً وشباناً كأنّ وجوهَهُـمْ دنانيرُ مما شِيفَ في أرضِ قَيْصَرَا

ويمدح حسان بن ثابت الانصار ، شيبا وشبانا : (١٩)

نُسَوِّدُهُ مِنَّا كُلُّ أشْيَبَ بـارع ... أغَرُّ تـراهُ بالجـلالِ مُكَلَّـلاَ
إذا مَا انْتَدَي أجْنَي النَّدَي وَابْتَنَي العُلا ... وأَلْفَي ذَا طَوْلٍ عَلَي مَنْ تَطَوَّلاَ
فَلَسْتَ بِلاقٍ ناشِئاً مِنْ شَبابِنَا ... وإن كانَ أنْدَي من سوَانَا وأحْوَلاَ
نُطيعُ فعالَ الشَّيْخِ مِنَّا إذا سَمَا ... لأمرٍ ولا نَعْيَا إذا الأمرُ أعْضَلاَ
لَـهُ أُرْبَةٌ في حَزْمِـهِ وفعالِـهِ ... وإن كانَ مِنَّا حازَمَ الرَّأيِ حُـوَّلاَ
وما ذاكَ إلاَّ أننا جَعَلَتْ لَنَـا ... أكابِرُنا فـي أولِ الخَيْـرِ أوَّلاَ

...

وإنَّك لَنْ تَلْقَي مِنَ النَّاسِ مَعْشَراً ... أعزَّ مِنَ الأنْصارِ عِزًّا وأفْضَلاَ
وأكْثَرَ أنْ تَلْقَي إذا ما أتَيْتَهُمْ ... لَهُمْ سيْداً ضَخْمَ الدَّسيعَةِ جَحْفَلاَ
وأشْيَبَ ميمونَ النَّقيبَةِ يبْتَغـي ... بِهِ الْخَطَرُ الأعلَي وطِفْلاً مؤَمَّلاَ
وأمردَ مرتاحاً إذا مـا نَدَبْتَـهُ ... تَحمَّلَ مـا حَمَّلْتَهُ فتَرَيَّـلاَ

وإذا كان الناس يفرقون بين الشيب والشباب فيمدحانهما تاره ، ويذمانهما تارة أخري ، فإن الموت لا يفرق بينهما ، يقول الشاعر : (٢٠)

يَخوضُ الشَّيخُ في بَحْرِ المَنايَا ... وَيرْجِعُ سالمًا والبَحْرُ طامِي
وَيأتِي الموتُ طفلاً في مُهودٍ ... وَيلْقَي حَتْفَهُ قَبْلَ الفطـامِ

ويقول الأعشي : (٢١)

ما أنْ أرَي الدَّهْرَ في صَرْفِهِ يُغَادِرُ من شارخٍ أوْ يَفَنْ

أما الحرب فهي من الأحداث التي تقرب ما بين الشيب والشباب فيتشابهان : (٢٢)

حَجونٌ تظلُ الفَتَـي جانبـاً علي واسِطِ الْكورِ عندَ الذُّقَنْ
تَرَي الشَّيْخَ منها لِحُبِّ الإيـا بِ يَرْجُفُ كالشَّارِفِ الْمُسْتَحِنْ

كما يفخر الأعشي بشيبه وشبابه جميعا فيقول : (٢٣)

عَلَوْتُكُمْ والشَّيْبُ لَمْ يَعْلُ مَفْرِقِي وهادَيْتُموني الشَّعرَ كَهْلاً مجرَّباً

وقوله مشيرا إلي حبه الجم للمال في حالتي الشباب والشيب : (٢٤)

شبابٌ وشيبٌ وافْتِقارٌ وثـروةٌ فَلِلّهِ هذا الدّهر كَيْفَ تَرَدَّدَا
ومازِلْتُ أبْغِي الْمالَ مُذْ أنا يافعٌ وليداً وكهلاً حِينَ شِبْتُ وأمْرَدَا

الـشـيب

١- الشيب من الحروب والمغامرات والأهوال

يقول الله سبحانه وتعالي : " فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا " (٢٥) .

إن الآية الكريمة تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، وهي أهوال قد ينساها البشر في خضم حياتهم اليومية وما يلاقونه فيها من أهوال الحروب

والمغامرات.

أما عن الشيب وعلاماته فقد روي عن أبي عبيدة انه " قيل لشيخ : ما بقي منك ؟ قال : يسبقني من أمامي ويدركني من خلفي ، وأذكر القديم وأنسي الحديث ، وأنعس في الملا ، وأسهر في الخلا ، وإذا قمت قربت الأرض مني ، وإذا قعدت تباعدت عني " (٢٦) .

ما قاله هذا الاعرابي تصوير حقيقي للشيب ، وهو يقدم صورة قاتمة ولكنها صادقة ، فهو يذكر كل التغيرات البيولوجية التي تطرأ علي كبار السن من ضعف الذاكرة ، والانحناء ، والضعف الجسماني . ولكن هذه الصورة تختلف كثيرا عندما يعبر الشاعر تعبيرا مجازيا عن الشيب ، فقد كان العرب القدامي ينفقون حيواتهم في سلسلة ممتدة من المعارك والحروب التي لا تنتهي حتي تبدأ ، والحرب الواحدة كانت تستغرق أعمارا وأجيالا عديدة ، فهي حروب قاسية مريرة ، أدمت أجسادهم وأرواحهم ، وفزعت نساءهم ، ويتمت أولادهم ، ولم تكن هذه الحروب تتركهم إلا بعد أن تترك بصماتها القاسية علي وجوههم وأنفسهم فيشيب الشبان والأطفال من أهوالها ، وهم دائما يهددون أعداءهم بهذه الحرب التي يشيب منها الوليد ، يقول عنترة : (٢٧)

وَخَيْلٍ عَوَّدَتْ خَوْضَ المَنايَـا ... تُشَيِّبُ مَفْرِقَ الطِّفْلِ الوليـدِ

ويقول حسان بن ثابت : (٢٨)

حرباً يشيبُ لها الوليدُ وإنما ... يَأْتِي الدَّنِيَّةَ كُلُّ عبدٍ نَحْنَعِ

ويقول أيضا : (٢٩)

إذنْ واللهِ نَرْمِيهِـمْ بحـربٍ تُشيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ المَشيبِ

وهي حرب لا تشيب الولدان فحسب ولكنها تشيب الشابة العذراء ، وتسقط من هولها الجنين ، يقول الشاعر : (٣٠)

تَشيبُ النَّاهِدُ العـذراءُ فيهَـا ويَسْقُطُ مِنْ مَخافَتِهَا الجَنِينُ

وعنترة يتوعد أعداءه يقول : (٣١)

وأذِيقُهَا طَعْنـاً تـذلُّ لِوَقْعِـهِ سَادَاتُها ويَشِيبُ منه رَضِيعُهَا

وهو أيضا جلد غير هياب ، ولا تؤثر فيه هذه الأحداث الجسام لأنه مختلف عن الآخرين ، شجاع مقدام يقول : (٣٢)

وقَدْ لاقَيْتُ في سَفَرِي أموراً تُشيبُ مَنْ لَهُ فِي المَهْدِ عامُ

بل إن مجرد سماع الحديث والقص عن الليالي التي قضاها محاربا منقضا علي أعدائه من شأنها أن تخيف وتشيب الوليد ، يقول : (٣٣) ،

تِلْكَ اللَّيالِي لَـوْ يَمُرُّ حديثُهَـا بِوَلِيدِ قومٍ شابَ قَبْلَ المَحْمَلِ

والشاعر العربي لا يتوعد أعداءه بهذه الحروب المخيفة فحسب ، ولكنه يعترف بأنه قد شاب من الحوادث والوقائع التي خاضها ، يقول الشاعر مفاخرا : (٣٤)

فما شابَ رأسِي مِنْ سنِينَ تَتَابَعَتْ طوالٍ ولَكِنْ شَيَّبَتْهُ الوقائـعُ

وهم كثيرا ما عبروا عن هذا المعني ، أي أن الشيب ليس من كبر ، وليس

٤- ذم الشيب :

عندما سأل معاوية بن سفيان المستوغر بن ربيعة عن حاله وهو ابن ثلاثمائة سنة قال : (٦٧)

سَلْنِي أُنبِئْكَ بآيـاتِ الْكِبَـرْ نومُ العشاءِ ومُسعَالٌ بالسَّحَرْ
وقِلَّةُ النَّوْمِ إذَا الليلُ اعْتَكَرْ وقِلَّةُ الطَّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ

إن الحالات النفسية التي تدفع الشعراء إلي ذم الشيب تختلف باختلاف شخصيات الشعراء ونفسياتهم وأمزجتهم ، فمنهم من يذمه لأنه كان سيدا في قومه شجاعا مقداما حكيما كريما ، فأقعده الشيب وقيده ، وأبدله بصفات التي يعرفها لنفسه ، ويعرفها الناس عنه صفات ينكرها ، وتنكرها الأعراف الاجتماعية ، أول ما ينكره عن نفسه تلك التغيرات الجسمية التي ألمت به ، يقول النمر ابن تولب : (٦٨) .

لَعَمْرِي لَقَدْ أنكَرْتُ نفْسِي ورَابَنِي مع الشَّيْبِ أبْدالِي التي أتَبَدَّلُ
فضولٌ أراهَا في أديمِي بَعْدَمَا يكونُ كفافُ اللَّحْمِ أوْ هُوَ أفْضَلُ
كَأنَّ محطّاً في يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ الجِلْدَ مِنْ عل

فانحسار اللحم عن العظم بسبب الضعف والوهن وقلة الطعام يسببان ترهل الجلد ، فهذا أول ما يظهر من علامات الكبر وينكره الشيخ ، ويكرهه ، ثم تتوالي الإشارات المادية الإنذارية : (٦٩) .

وَظَلْعِي وَلَمْ أكْسَرْ وأنَّ ظَعِينَتِي تَلَفُّ بَنِيهَا فِي البِجَادِ وَأعْزَلُ
وَدَهْرِي فَيَكْفِينِي القَلِيلُ وأنَّنِـي أؤوبُ إذا ما شِبْتُ لا أتَعَلَّـلُ

. . .

يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدالٍ وَصِحَّةٍ يَنُوءُ إذا رَامَ الْقِيَامَ ويحمِلُ

هذه هي التغيرات الجسمية ، ضعف وهزال ، بطء في الحركة وعدم استقامة الخطوات ، وقلة الطعام والزهد فيه والاكتفاء باليسير منه . وأصعب شيء علي النفس هو ما يراه من صبره وتحمله لهذه الأعراض ، والرضا بالأمر الواقع بعدما كان لا يرضي بما يفرض عليه اعتزازاً بالقوة وفرضا لها ، ثم يكون التغير المعنوي الذي يهد النفس ويذيقها ألوانا من العذاب وبعض كبار السن يطيقونه وبعضهم لا يستطيع ، والنمر بن تولب يعبر عن هذه التغيرات بصورة ساخرة مرة : (٧٠)

وَقَوْلِي إذا ما غابَ يوماً بعيرُهُمْ يُلاقُونَهُ حتّي يؤوبَ الْمُنَخَّلُ

وَأَضْحي ولَمْ يَذْهَبْ بعيرِي غربةً وأشوِي الذِّي أشوِي ولا أتَحَلَّلُ (٧١)

وهذا دليل علي انقطاع الأمل لدي كبار السن ، وأنهم أقرب إلي الاحساس باليأس والقنوط مما يجعله يفقد مكانته كحكيم لقومه ، وسيد من السادات الذين يعتمد عليهم في مواجهة المشكلات التي تلم بهم .

ويعبر زهير بن أبي سلمي عن اقطاع الأمل والرجاء في الشيوخ بقوله : (٧٢)

وإنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بعدَهُ وإنَّ الْفَتَي بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

ويشير النمر بن تولب إلي شجاعته المعهودة وسرعة استجابته لدعوة الداعي بأنها قد تحولت إلي بطء فرضته ظروفه الصحية والنفسية : (٧٣) .

ظاهرة طبعية وحتمية لمر السنين وكر الأيام ، ولكن الشيب بسبب كثافة التجارب التي خاضوها وقسوتها ، فالشيب هنا نتيجة خبرة رأسية تراكمية ، وليس نتيجة لخبرة أفقية مسطحة ممتدة عبر الزمن ، يقول لبيد (٣٥)

قالتْ غَدَاة انْتجينَا عِنْدَ جارتِهَا ... أنْتَ الذي كُنْتَ لولاَ الشَّيْبُ والكِبَرُ

فقلتُ : ليسَ بياضُ الرأسِ مِنْ كِبَرٍ ... لَوْ تَعْلَمِينَ وعِنْدَ العالمِ الخَبَرُ

لَوْ كانَ غَيرِي سُلَيْمَي اليومَ غَيَّرَهُ ... وَقعُ الحَوادثِ إلا الصَّارِمُ الذَّكَرُ

ويقول عنترة بن شداد : (٣٦)

حَنَّكَتْنِي نَوائِبُ الدَّهْـرِ حتَّي ... أوْقَفَتْنِي عَلَي طَرِيقِ الرَّشَـادِ

وقوله : (٣٧)

جَرَّبْتُهُ وأنَـا غِـرٌّ فَهذَّبَنِـي ... مِنْ بَعْدِما شَيَّبَتْ رَأسِي تَجَارِبُه

ويقول الأعشي : (٣٨)

فَـإنْ تَعْهَدِينِـي وَلِـي لِمَّـةٌ ... فَإنَّ الحَوادِثَ أَلْـوَي بِهَـا

ومما يشيب الرجال الحزن علي من فقدوه من أحبائهم ، ولمحمد بن كعب الغنوي قصيدة في رثاء أخيه أبي المغوار واسمه هرم ، وبعضهم يقول إن اسمه شبيب ، يقول : (٣٩)

تَقُول ابْنَةُ العَبْسِيِّ قَدْ شِبْتَ بَعْدَنَا ... وكُلُّ امْرِئٍ بَعْدَ الشَّبابِ يَشِيبُ

وما الشَّيْبُ إلاَّ غائباً كانَ جانِبـاً ... وما القولُ إلا مُخْطِئٌ ومُصِيبُ

تَقولُ سُلَيْمَي ما لِجِسْمِكَ شاحِباً كأنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرابَ طَبِيبُ

فقُلْتُ ولَمْ أعْيَ الجوابَ ولَمْ أَلِحْ وللدهْرِ في الصُّمِّ الصِّلابِ نَصِيبُ

تَتَابُعُ أحداثٍ تَخَرَّمْنَ إخْوَتِي فَشَيَّبْنَ رأسِي والخُطوبُ تُشِيبُ

وكقوله أيضا يذكر خصال أخيه الكريمة : (٤٠)

فَتيٌّ ما يُبالِي أنْ يكونَ بِجِسْمِهِ إذا نَالَ خلاّتِ الكِرامِ شُحُوبُ

وهذه الصورة السابقة عبر عنها الشعراء الجاهليون ، وكثيرا ما نجدها عند الشعراء الصعاليك بصفة خاصة ، الشيب المجازي إذن تحدثوا عنه في مجالات عدة، أبرزها تخويف الأعداء وترويعهم ، والفخر بالشجاعة ، ووفرة التجارب مع صغر العمر ، كما عبروا عنه في موضوع الرثاء كما مر في أبيات محمد بن كعب الغنوي وكقول أبي ذؤيب في رثائه لبنيه : (٤١)

قَالَتْ أميمةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِباً مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ

أمْ ما لِجِسْمِكَ لا يلائِمُ مضجعاً إلا أقضَّ عليكَ ذاكَ المضجَعُ

فَأجبْتُها ان مـا لِجِسْمِي أنَّـهُ أوْدَي بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعُوا

وكقول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا : (٤٢)

تقولُ ابْنَةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بَعْدَمَا أراكَ قديماً نَاعِمَ الوجهِ أقْرعاً

فقلتُ لها : طولُ الأسَي إذْ سألْتِنِي ولَوْعةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الوجهَ أسْفَعاَ

٢- الشيب بمعني طول الزمان والحنكة :

الشعراء الذين عبروا عن هذا المعني هم المعمرون خاصة ، وأبرزهم عبيد بن الأبرص ، وله أبيات طريفة يشير فيها إلي امتداد عمره وطول خبرته ، وأن الزمان ينقضي وهو قائم شاهد علي عصره وعلي العصور السابقة ، وعلي عادة الشعراء القدامي فإن المبالغة كانت ظاهرة من ظواهر التعبير الفني عندهم ، ولكن بعض النقاد أخذ هذه المبالغات مأخذ الحقائق ، ومن هنا كانت المبالغة في تقدير عمر الشاعر علي الحقيقة ، فقد جعله ابن رشيق ثلاثمائه سنة (٤٣)

فقد نظر إلي قوله يذكر من شاهده من الملوك علي أنه حقيقة ، يقول عبيد : (٤٤)

لَتَأْتِيَنْ بَعْدِي قُرونٌ جَمَّةٌ ... تَرْعَي مَخَارِمَ أَيْكَةٍ ولُدُودَا

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ ولَيْلٌ كَاسِفٌ ... والنَّجمُ يَجْرِي انْحُساً وسُعُودَا

حَتَّي يُقَالَ لِمَنْ تَعَرَّقَ دَهْرُهُ ... يَاذَا الزَّمَانَةِ هَلْ رَأَيْتَ عَبِيدَا

مائَتَيْ زمانٍ كاملٍ ونَصِيَّةٍ ... عشرينَ عِشْتُ مُعَمَّراً مَحْمُودَا

أَدْرَكْتُ أولَ مُلْكِ نَصْرٍ ناشئاً ... وبِناءَ سِنْدادٍ وكانَ أَبِيدَا

وَطَلَبْتُ ذا القَرْنَينِ حتي فاتَنِي ... رَكْضاً وكِدْتُ بِأَنْ أَرَي دَاوُدَا

ويقول أيضا مبالغا : (٤٥)

فَنِيتُ وأَفْنانِي الزَّمانُ وأَصْبَحَتْ ... لِدَاتِي بَنُو نَعْشٍ وزَهْرُ الفَرَاقِدِ

ويشير عدي بن زيد إلي طول عمره ، وان السنوات التي عاشها زادته خبرة وحكمة ، يقول : (٤٦)

أعاذِلُ قَدْ لاقَيْتُ ما يَزَعُ الفَتَي ... وطَابَقْتُ في الحِجْلَيْنِ مَشْيَ المُقَيَّدِ

بَلِيتُ وأبْلَيْتُ الرِّجالَ واصْبَحَتْ ... سنُون طوالٌ قَدْ أتَتْ قَبْلَ مَوْلِدِي

ويقول أعصر بن سعد بن قيس عيلان : (٤٧)

قالتْ عميرةُ مـا برأسِكَ بعدمَا ... نَفَدَ الزَّمانُ أتَي بِلَوْنٍ مُنكَرِ

أعُمَيْرُ إنَّ أبَاكِ شَيَّبَ رأسَهُ ... كَرُّ اللَّيالِي واخْتِلافُ الأعصُرِ

ويقول لبيد : (٤٨)

وغَنِيتُ سِبتاً قبلَ مَجْرَي داحسٍ ... لَوْكانَ لِلنَّفْسِ اللَّجوجِ خُلُودُ

وشَهِدْتُ أنْجِيَةَ الأفاقَةِ عالياً ... كَعْبِي وأردافُ المُلوكِ شُهُودُ

وابوكِ بِشْرٌ لا يُفَنِّدُ عُمْرُهُ ... وإلي بِلِيَّ مـا يُرْجَعَنَّ جَدِيدُ

غَلَبَ العَزَاءُ وكنتُ غيرَ مُغَلَّبٍ ... دَهْرٌ طويلٌ دائمٌ ممدودُ

لقد كان ديدن الشعراء المعمرين أن يبالغوا فيما عاصروه وعايشوه من أحداث، إلا أن يكون شاعرا مُسْتَهْتَراً بحب الحياة ، متعلقا بأهدابها ، فيظل غير مصدق لما ألم به من شيب ، وما اعتراه من ضعف وكبر ، والأعشي من هؤلاء الشعراء الذين شغفوا بحب الحياة ، وتمسكوا بها حتي الثمالة ، فنراه غير مصدق لما أصابه

وفي حالة دهشة من هذه التغيرات التي لم يعهدها في نفسه وفي سلوكه من قبل ، يقول : (٤٩)

أجدكَ ودَّعْتُ الصِّبَى والولائِدَا ... وأصبحْتُ بعدَ الجَوْرِ فيهنَّ قاصِدَا
وما خِلْتُ أنْ أبتاعَ جَهْلاً بحكمةٍ ... وما خِلْتُ مِهراساً بلادِي ومارِدَا

ويقول أيضا : (٥٠)

وإنَّ أخاكِ الذِّي تَعْلَمِينَ ... لَيالِيَنَا إذْ نَحُلُّ الجِفَارَا
تَبَدَّلَ بعدَ الصِّبَى حِكْمَةً ... وَقَنَّعَهُ الشَّيْبُ منهُ خِمَارَا
أحَلَّ بِهِ الشَّيْبُ أثقالَهُ ... وما اعتَرَّهُ الشَّيْبُ إلا اعْتِرارَا

وفترة التحول من الشباب إلي الشيب قد تطول وقد تقصر وفقا لنفسية الشاعر ، وموقفه من الحياة ، ولكنه في النهاية سيجتاز تلك المراحل ، مرحلة الدهشة، ثم الأسف ، ثم الإقرار بالواقع ، فمن كان منهم متعلقا بالحياة وأسبابها – كالأعشي مثلا – فإنه لا يلجأ إلي المبالغة التي كان يلجأ إليها عبيد ولبيد وأمثالهما ، بل يقر بالأمر الواقع كما هو ، يقول الأعشي : (٥١)

مَضَى لِي ثَمانونَ مِنْ مَوْلِدِي ... كَذَلِكَ تفصيلُ حُسَّابِهَا
فَأصْبحتُ ودَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَا ... بِ وَالْخَنْدَرِيسَ لأصْحابِهَا

ويقول أيضا : (٥٢)

فَإنْ تَكُ لِمَّتِي يا قَتْلُ أضْحَتْ ... كَأنَّ علي مفارِقِهَا ثغَامَا
وأقصرَ باطلِي وصَحَوْتُ حتَّى ... كَأنْ لَمْ أجرَ في بَدَنٍ غلامَا

فإنْ دوائرَ الأيـــامِ يُفْنِـــي تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذِّكْـرَ الْحُسَامَـا

ولا نتصور أن مثل الأعشي يستطيع أن يقر بهذه التحولات بيسر وسهولة ، ولكنه راض نفسه علي التأسي بالآخرين ، وبالعودة إلي التاريخ الواقعي والأسطوري، يستمد منهما القوة لكي يحتمل واقعه الجديد ، يقول : (٥٣)

فإنْ يُمْسِ عندِي الشَّيْبُ والْهَمُّ والْعَشَي فَقَدْ بِنْ مِنِّي والسَّلامُ تَفَلَّـقُ

بِأَشْجَعِ أخَـاذٍ علـي الدَّهْرِ حُكْمُـهُ فَمِنْ أيِّ ما تُجْني الْحوادثُ أفْرَقُ

فمـــا أنتَ إنْ دامتْ عليكَ بخالـدٍ كما لم يُخَلَّدْ قبلُ سَاسَا ومورقُ (٥٤)

وكِسْـرَي شَهِنْشَاهُ الذي سَارَ مُلْكُهُ لَهُ ما اشْتَهَي راحٌ عَتِيقٌ وزَنْبَقُ (٥٥)

ولا عَادِيًـا لـم يَمْنَعِ الموتَ مالُـهُ وحِصْنٌ بتيماءِ اليَهودِيِّ أبْلَـقُ

. . . .

ولا الملـكُ النُعمـانُ يـومَ لَقِيتُـهُ بِإِمَّتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويَأْفِـقُ (٥٦)

فالشاعر في كل ما سبق يتحدث عن الشيب بمعني طول الزمان والحكمة والخبرة المستفادة إما عن طريق المبالغة الفنية والتي تعد خاصية من أهم خصائص الشعر القديم ، أو عن طريق الحقائق الواقعة ، وبأسلوب إخباري .

٣- مدح الشيب :

" قال النبي صلي الله عليه وسلم : من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة " (٥٧)

ولم يمدح الشيب في الشعر العربي القديم إلا من جهة واحدة وهي

اكتمال نضج العقل وما يتبعه من رشاد وحكمة ورزانة وحلم وكرم ، قال ابن أبي فنن : (٥٨)

مَنْ عاشَ أخْلَقَتِ الأيام جِدَّتَـهُ ... وَخَانَهُ ثِقَتَاهُ ، السَّمعُ والبَصَـرُ
قَالَتْ عَهِدْنَكَ مجنوناً فُقُلْتُ لها ... إنَّ الشَّبابَ جُنونٌ بُرْؤُهُ الكِبَـرُ

أما ما دون العقل وتبعاته فإن الشيب مكروه لدي كل الشعراء ولذلك فإن مدح الشعراء للشيب لا يخرج عن هذه الدائرة ، دائرة العقل والحكمة ، وهم إذ مدحوا الشيخ بالشجاعة فهي شجاعة مقيدة رشيدة ، أغلبها يعود إلي كثرة التجارب ، وقليلها يعود إلي الإقدام . يقول لبيد : (٥٩)

أَلَيْسَ ورائِي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ العَصَا تحْنَي عليها الأصابِعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرون التي مَضَتْ ... أدبُّ كأنّي كُلَّمـا قُمْتُ راكـعُ
فَأصْبَحْتُ مثلَ السَّيْفِ غَيَّرَ جَفْنَهُ ... تقادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ

ويقول أيضا : (٦٠)

إنْ تَرَي رأسِيَ أصْبَحَ واضحاً ... سلَّطَ الشَّيْـبُ عليـهِ فَاشْتَعَـلْ
فَلَقَـدْ أعْوِصُ بالخَصْـمِ وقَـدْ ... أملأُ الجَفْنَةَ مـن لَحْـمِ القَلَـلْ

ومن طريف ما قيل في مدح المشيب ، قول قيس بن الخطيم ، يقول : (٦١)

إنِّي علي مَا تَرَيْنَ مـن كِبَـرِي ... أعلمُ مِـنْ أينَ تُؤكَلُ الكَتِـفُ

ويقول عنترة بن شداد : (٦٢)

لقد قالتْ عُبَيْلَـةُ إذْ رَأَتْنِـي ومَفْرِقُ لِمَّتِـي مثـل الشُّعَـاعِ
ألا لِلَّـهِ دَرُّكَ مِـنْ شُجَـاعٍ تَـذِلُّ لِهَوْلِـهِ أُسْـدُ الْبِقَـاعِ

ويقول عامر بن الطفيل : (٦٣)

رَهِبْتُ وما مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ أَجْزَعُ وَعَالَجْتُ مِمَّا كُنْتُ بالْهَمِّ أَوْلَعُ
وليداً إلى أنْ خَالَطَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وأَلْبَسَنِـي مِنْهُ الثُّغَام الْمُنَـزَّعُ

وقال دريد بن الصمة : (٦٤)

صَبَا ما صَبَا حتَّى عَلاَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا علاهُ قـالَ لِلْباطِلِ ابْعَـدِ

ولقد مدح الشعراء شيب الملوك لأنهم أولي بصفات الوقار ونضج العقل ، يقول لبيد في رثائه للنعمان بن المنذر : (٦٥)

رَعَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ عِشْرِينَ حِجَّةً وَعِشْرِينَ حتَّى فَادَ والشَّيْبُ شامِلُ

ويقول الأعشي مادحا هوذة بن علي الحنفي : (٦٦)

لم يَنْقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ ما يُقَالُ لَهُ وَقَدْ تَجاوَزَ عَنْهُ الْجَهْلُ فانْقَشَعَا
أَعَزُّ أَبْلَجُ يسْتَسْقَي الْغَمَامُ بِـهِ لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلامِهِمْ صَرَعَا

فالشيب يمتدح من جهة الوقار والورع ، نجد هذا عند الشعراء جميعا ، ونستثني منهم الشعراء المجان في كل العصور ، وهم الذين يبالغون في اللهو كلما بعدوا عن سن الشباب تمسكا بالحياة ، وحبا لملاهيها ، يقول أبو نواس :

يَقُولونَ في الشَّيْبِ الوقار لأهلِهِ وشَيْبِي بِحَمْدِ اللَّهِ غيـر وَقَّـارِ

بَطِيءٌ عن الدَّاعي فلستُ بآخذٍ سلاحِي إليهِ مِثْلَ ما كنتُ أفْعَلُ

تدارَكَ ما قبلَ الشَّبابِ وبَعْدَهُ حوادثُ أيـامٍ تَضُـرُّ وأغفـلُ

...

وكنتُ لا تشْوِي سهامِي رَمِيَّـةٌ فَقَدْ جَعَلَتْ تشوِي سِهامِي وَتَنْصلُ (٧٤)

لم يعد قادرا علي إحكام التصويب ودقته ، فإطلاق السهام يحتاج إلي قوة مادية ونفسية فقدهما .

أما علاقته بزوجته وبالمرأة بصفة عامة فقد عبر عنها تعبيرا مؤثرا للغاية يدل علي نفس محطمة يائسة فقدت كل أسباب التعلق بالحياة ، يقول : (٧٥)

وكنتُ صَفِيَّ النَّفْسِ لا شيْءَ دُونَهُ فَقَدْ كِدْتُ مِنْ إِقْصا حَبِيبِي أذْهَلُ

...

دَعَانِي الْغَوانِي عَمُّهُنَّ وخِلْتُنِي لِيَ اسْمٌ فما أدْعَي بِهِ وَهْوَ أوَّلُ

ومن أكثر الشعراء الذين ذموا الشيب وعابوه عبيد بن الأبرص ، فهو يذمه لأنه ظاهرة طبيعية تنبئ عن اقتراب الأجل ، وانقطاع الرجاء والأمل ، يقول : (٧٦)

والمرءُ ما عَاش فـي تَكْذِيـبِ طـولُ الْحياةِ لـه تَعْذِيـبُ

وقوله : (٧٧) :

تَرَي الْمرءَ يصبُو للحياةِ وطُولِهَا وفي طولِ عيشِ المرءِ أبرحُ تَعذِيبِ

ويذمه لأنه يشين صاحبه لما يجده من نظرات العطف عليه والاشفاق من

أجله : (٧٨)

إمّا قَتِيـــلاً وإمّا هالكـــاً والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَـنْ يَشِيـبُ

وقوله : (٧٩)

بَانَ الشَّبابُ فَالَي لا يُلِمُّ بِنَـا وَاحْتَلَّ بِي مِنْ مُلِمِّ الشَّيْبِ مِحْلالُ
والشيبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَحْتَلُّ ساحَتَهُ لِلّهِ دَرّ سوادِ اللّمـةِ الْخالِـي

ويذم الشيب لأنه أفقده حقوقا كثيرة كانت مرعية له أيام الشباب ، فليس من حق الشيوخ أن يقلدوا الشباب في ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم ، وأساليبهم في تمضية أوقات اللهو ، ولا في اندفاعهم وعنادهم في مواجهة الجد ، ولا في فرحهم واتساع رقعة الآمال لديهم ، وسوف يعابون بعنف إذا هم انساقوا وراء عواطفهم كما يفعل الشباب ، فالشاعر عبيد بن الأبرص يستنكر أن يقف الشيخ علي الأطلال ، يقول : (٨٠)

بَلْ ما بُكاءُ الشَّيْخِ في دِمْنَةٍ وقَدْ علاهُ الْوَضَـحُ الشّامِـلُ

ان ازدهار العواطف واشتعالها من حق الشباب وحدهم ، فلا يحق لشيخ أن يشبب أو أن ينسب بالمرأة لأنه سيقابل بالإنكار والإعراض : (٨١)

شَوْقاً إلي الْحَيِّ أيامَ الْجَميع بِهَا وكَيْفَ يَطْرَبُ أو يشتاقُ أمْثالِي
وقد عَلاَ لِمَتِي شيبٌ فَوَدَّعَنِـي مِنْها الْغَوانِي وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقالِي

وقوله : (٨٢)

زَعَمَتْ أنني كَبِرتُ وأنَّـــي ... قَلَّ مالِي وضَنَّ عني الموالِي

وصَحَا باطِلِي وأصبحتُ كهلاً ... لا يُؤاتِـي أمثالُهَا أمْثالِـي

أنْ رأتْنِي تَغيَّرَ اللَّونُ مِنِّـي ... وعَلا الشيبُ مَفْرِقِي وقَذالِي

ومن أهم ما يميز كبار السن هو ولوعهم بذكر ماضيهم ، فهم لا يملون من الحديث عن شبابهم وفتوتهم ، وافتتان النساء بهم ، ويأتي هذا الحديث في معرض المقارنة بين حالتهم الحالية وماضيهم البعيد ، ويكون هذا التذكر ردا ، أو بعابرة أوضح دفاعا عن أنفسهم ضد نظرات الإعراض والصد التي يلاقونها ، وصمودا أمام تيار الانهيار البدني والنفسي والفكري ، ولا يحس الشيخ أنه يقص ويروي هذه الذكريات للمرة الألف أو أكثر ، أو أقل ، ولكنه يستمتع بسرد هذا الشريط العذب الذي يحييه ويمتعه لحظات ، يقول عبيد : (٨٣)

ألاَ عَتَبَتْ عليَّ اليومَ عِرْسِـي ... وقَـدْ هَبَّتْ بليـلٍ تَشْتَكِينِـي

فقالتْ : كَبِـرْتَ فقلتُ : حَقّـاً ... لَقَدْ أخْلَفتُ حيناً بعد حينِ (٨٤)

تريني آيةَ الإعـراضِ مِنْهَـا ... وَفَظَّتْ في المقالةِ بَعْدَ لِـينَ

ومَطَّتْ حاجِبَيْهـا أنْ رَأتْنِـي ... كَبِرتُ وأنْ قَدِ ابْيضَّتْ قُرونِي

فقُلت لها : رُوَيْدَكِ بعضَ عتْبِي ... فإنِّي لا أَرَي أنْ تَزْدَهِينِـي (٨٥)

وعيشي بالَّذِي يُغْنِيكِ حَتَّـى ... إذا ما شِئْتِ أنْ تَنْأيْ فَبِينِي

فإنْ يَكُ فَاتَنِي أسفاً شَبَابِي ... وأضْحَي الرَّأسُ مِنِّي كالَّلجِينِ

وكانَ اللَّهْوُ حالَفَنِـي زمانـاً ... فَأضْحَي اليومَ مُنْقَطِعَ القَرِينَ

فَقَدْ أَلِجُ الخِباءَ علي العَذَارَي ... كـأنَّ عيونَهُنَّ عيـونُ عِـينِ

يَمِلْنَ عليَّ بالأقْرَابِ طَوْراً ... وبالأجْيادِ كَالرِّيطِ المَصونِ (٨٦)

وأسْمرَ قَدْ نَصَبْتُ لِذِي سناءٍ ... يَرَي مِنِّي مُحافَظَةَ اليَقينِ

يُحاوِلُ أنْ يقومَ وقَدْ مَضَتْهُ ... مُغابَنَةٌ بِذِي خرصٍ قَتينِ

إذا ما عادَهُ مِنْها نساءٌ ... سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بعدِ الرَّنينِ

وخَرْقٍ قَدْ ذَعَرْتُ الجَوْنَ فيهِ ... عَلَي أدْماءَ كالعِيرِ الشَّنونِ

وكذلك قول لبيد : (٨٧)

يوم إذا يَأتِي عَلَيَّ وليلَةٌ ... وكلاهُمَا بعدَ المَضاءِ يعودُ

وأراهُ يأتِي مثلَ يَوْمِ لَقِيتُهُ ... لم ينصرِمْ وضعفت وَهْوَ شَدِيدُ

وحميتُ قَوْمِي إذْ دَعَتْنِي عامرٌ ... وتَقَدَّمَتْ يومَ الغَبِيطِ وفُودُ

وتَذَاكَرَتْ أركانُ كُلِّ قبيلةٍ ... وفوارسُ الملكِ الهمامِ تَذودُ

أكرمتُ عِرْضِي أن ينالَ بِنَجْوةٍ ... إنَّ البَرِيءَ مِنَ الهَناتِ سَعِيدُ

ما إنْ اهابُ إذا السرداقُ غَمَّهُ ... قَرعُ القَسِيِّ وأرعشَ الرِّعديدُ

ويذم المتنخل الهذلي الشيب لأنه يفقد الرجل القدرة علي النسيب ، يقول : (١٩)

وما أنتَ الغداةَ وذِكْرُ سَلْمِي ... وأضْحَي الرأسُ مِنْكَ إلي اشْمِطاطِ

كأنَّ علي مفارقِهِ نسيلاً ... من الكَتَّانِ يُنْزَعُ بالمشاطِ

وعندما يذم شاعر كالأعشي الشيب فإنه لا يأسي علي الشباب إلا من جهة انصراف النساء عنه ، وأنه لم يعد عندهن صاحب المكانة المعهودة من

قبل ، يقول : (٨٩)

رَأَتْ عَجُزاً في الحَيِّ أسْنانُ أمِّهَا ... لِذاتِي وشُبّانُ الرِّجالِ لذاتُها

ويقول : (٩٠)

عَلَي انّها إذْ رَأتْنِي أقـا ... دُ قالتْ بما قَدْ أراهُ بَصِيراً

رَأتْ رجلاً غائِبَ الوافِدَيْـ ... نِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أعْشَي ضَريراً

وقوله أيضا : (٩١)

بانَتْ سعادُ وأمْسَي حَبْلُهَا انْقَطَعَا ... واحْتَلَّتْ الغَمْرَ فَالجُدَّيْنِ فَالفَرَعَا

وأنْكَرَتْنِي وما كانَ الذّي نَكَرَتْ ... مِنَ الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

وقوله : (٩٢)

وَرَأتْ بـأنَّ الشَّيْبَ جـــا ... نَبَهُ البشاشـةُ والنَّضَـارَة

فاصْبِـرْ فإنَّـكَ طالَمَـــا ... أعْمَلْتَ نَفْسَكَ في الخَسَـارَة

ولَقَدْ أنَي لَـكَ أنْ تُفِـيـ ... قَ مِنَ الصَّبابَـةِ والدِّعَـارَة

ولقد كان رأي الغواني في الأعشي عندما شاب يثير حزنه وأشجانه ، ويبعث في نفسه الأسي ، فرجل كالأعشي عاش حياة صاخبة واسعة لابد وأن يتألم عندما تهب عليه رياح الفناء مؤذنة بالرحيل ، وهذه الرياح تكون قوية وعاتية لأنها تهب من جانب المرأة ، والتي كانت ركنا رئيسيا في حياة الأعشي – هي والخمر – وعامودا من أعمدة الإلهام لديه ، يقول : (٩٣)

وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةُ إِذْ رَأَتْنِـي ... وَقَدْ لا تَعدمُ الحسناءُ ذَامـا

أَراكَ كَبِرْتَ واستَحْدَثْتَ خَلْقاً ... وَوَدَّعْـتَ الكواعِبَ والمُدامَـا

ويشير إلي هجرها إياه : (٩٤) .

وَأَرَى الغَوانِي حِين شِبْتُ هَجَرْنَنِي ... انْ لا أكونَ لَهُنَّ مِثْلِي أَمْرَدَا

إِنَّ الغَوانِـي لا يُواصِلْنَ امْـرَءاً ... فَقَدَ الشَّبابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

على أنه في آخر الأمر أذعن لكر الأيام ، وحكم القدر ، فنراه يستنكر بكاء الكبير بالأطلال كما بكي عبيد بن الأبرص مثل ما مر بنا من قبل .

يقول الأعشي : (٩٥) .

ما بكـاءُ الكَبِيرِ بالأطْـلالِ ... وسُؤالِي فَمَا تَـرُدَّ سُؤالِـي

رِمْنَةٌ قفرةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ ... ـفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبَا وشَمـالِ

وهذا المعني نجده أيضا عند أوس بن حجر ، فقد يلتمس العذر للكبير الذي لم يقض عبرته اثر الأحبة وهذا للمبالغة في وصف ألم الفراق ، يقول أوس معتذرا للمشيب : (٩٦)

هَلْ عاجلٌ مِنْ مَتاعِ الحَيِّ منظورُ ... أمْ بيتُ نَوْمَةَ بعدَ الإلْفِ مهجورُ

أمْ هلْ كبيرٌ لمْ يقضِ عَبْرَتَـهُ ... إِثْرَ الأحِبَّةِ يومَ البَيْنِ معـذورُ

وعبر لبيد بن ربيعة العامري عن هذه المعاني ، فذم الشيب بذكر أعراضه التي لا ينكرها أحد ، ويستنكرها الجميع ، يقول : (٩٧)

المـــرءُ يدعُـو لِلسُّـــلا ... مِ وطُولُ عيشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تُودِي بَشاشَتُـــهُ ويَـــأْ ... تِي دونَ حُلوِ العَيْشِ مَرُّهْ
وتصرفُ الأيـامِ حَـــتْ ... تَي ما يَرِيَ شيئاً يَسُرُّهْ
كَمْ شامتٍ بِـي إنْ هَلَـكْ ... تُ وقائـلٍ لِلّـهِ دَرُّهْ

اما حسان بن ثابت فهو يذم الشيب لأنه أطمع الناس فيه ، فالليث عندما يصاب بالهرم تستهين به حيوانات الغابة ، قويها وضعيفها ويصبح هدفا سهلا لكل موتور ، فنري الشاعر يوجه كلامه لابنه عبد الرحمن عندما هاجي قيس بن عمرو ، فيحذره قائلا : (٩٨)

إياكَ إنّي قَدْ كَبِرْتُ وغالَنِـي ... عَنْكَ الغوائِلُ عندَ شَيْبِ المَكْبَرَ
فَجَعَلْتَنِي غَرَضَ اللِّئامِ فكلُّهُمْ ... يَرْمِي بِلُؤْمِهِ بالغاً كَمُقَصِّرِ (٩٩)
حتّي تَضِبَّ لثاتُهُمْ فَغَدَتْ بِهِمْ ... سوداءُ أصلُ فروعِهَا كَالعَنْقَرِ
أجْزَرْتَهُمْ عِرْضِي تَهَكَّم سادرٍ؟ ... ثَكِلَتْكَ أمُّكَ غَيْرَ عِرْضِي أجْزِرِ
هَنَفٌ تَعَاوَرَهُ الرُّماةُ كَأنّمـا ... يَرْمونَ جَنْدَلَةً بعرضِ المَشْعَرِ

ونري موقف عنترة بن شداد من ذم الشيب مختلفا ، فهو لا يذمه صراحة ، ولكنه يراه كالذنب الذي يعتذر عنه يقول : (١٠٠)

نَبِّئِي لِعْبلَةَ ذَنْبٌ غيرُ مُغْتَفَـرِ ... لَمّا تَبَلَّجَ صُبْحُ الشَّيْبِ في شعرِي

فعنترة طالما مدح الشيب لأنه عنوان اكتمال الرجولة ، وتمام العقل ورجاحته ، ولذلك لا نجد في ديوانه هذه الكراهية العنيفة للشيب ، ولا نجده يحس هذه

المرارة التي أحس بها غيره من الشعراء ، بل هو أسف رقيق خفي لا يكاد يبين ، كأنما يخفي وراء هذه الرنة الشجية فرحا طاغيا ، وفخرا عظيما بكبر سنه ، يقول : (١٠١)

شَابَ رأسِي فَصَارَ أبيضَ لوناً ... بَعْدَ ما كانَ حالِكاً بالسوادِ

وقوله : (١٠٢)

قُولاَ لِقَيْسٍ والرَّبيعِ بِأَنَّنِي ... خَطَّ المشيبُ عليَّ شَبَابِي مَا عَلاَ

٥- السأم من الحياة :

قال محمد بن مناذر في رجل من المعمرين :

إنّ معاذَ بْنَ مسلمٍ رجلٌ ... قَدْ ضَجَّ مِنْ طولِ عُمْرِهِ الأَبَدُ

قد شابَ رأسُ الزمانِ واكْتَهلَ الدَّهْـ ... ـرُ وأثوابُ عمرِهِ جُدُدُ

يا نَسْرَ لقمانَ كَمْ تعيشُ وكَمْ ... تَسْحَبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبَدُ

قَدْ أصبحتْ دارُ آدمَ خَرِبَتْ ... وأنتَ فيها كأنك الوتِدُ

تسألُ غِربانَهَا إذا حَجَلَتْ ... كيفَ يكونُ الصداعُ والرمدُ . (١٠٣)

والسأم من الحياة يرتبط ارتباطا جذريا بالشيب لأنه نتيجة له ، فهو موضوع الدافع إليه نفسي صرف ، يقول لبيد : (١٠٤)

ولَقَدْ سَئِمْتُ من الحياةِ وطولِهَا ... وسُؤال هَذَا الناس كَيفَ لَبِيدُ

فَاتْـــنِ حَيَاءً أنتَ ضَيَّعْتَـــه مَالَكَ بعْدَ الشَّيْبِ من عَـاذِرِ

ويوشك أن يكون الشيب وازعا للنابغة يقول : (١١٤)

علي حينَ عاتَبْتُ المشيبُ علي الصِّبَا وقلتُ : ألَمَّا أصْحُ والشيبُ وازِعُ

وكانت العرب تحب وتفضل أن يكون الرجل قبل أن يشيب ويخرف وتقرع له العصا ، يقول زهير بن جناب الكلبي : (١١٥)

أبُنَـيَّ إنْ أهْلِـكْ فقَـدْ بَنَيْـتُ لَكُـمْ بَـنِيَّـهْ
وَجَعَلْتُكُمْ أبنـاءَ سَـادا تٍ زِنَـادُكُـمُ وَرِيَّـهْ
مِنْ كُلِّ مـا نَـالَ الفَتَـى قَـدْ نِلْتُـهُ إلا التَّحِيَّـهْ
والمـوتُ خيـرٌ لِلفَتَـى وَلَيَهْلَكَـنَّ وَبِـهِ بَقِيَّـهْ
مِنْ أنْ يُرَى الشيخَ البِجـا لَ وقَدْ يُهـادَي بِالْعَشِيَّـهْ

٦- التصـابـي :

التصابي هو ادعاء الصبا والشباب ، فهو خداع للآخرين ، وعدم اعتراف بالشيب الذي بدأت علاماته ، وفي لسان العرب مادة صبا يقول ابن منظور : " والصبا من الشوق يقال منه : تصابي وصبا يصبو صبوة وصبوا أي مال إلي الجهل والفتوة ... وأصبته المرأة وتصبته شاقته ودعته إلي الصبا فحن لها وصبا إليها " : (١١٦)

ومعني الخداع نجده عند صاحب القاموس المحيط ، فهو يقول : " تصباها وتصاباها خدعها وفتنها " (١١٧)

وفي سورة يوسف يقول الله سبحانه وتعالي : " والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن " (١١٨) أي أميل إليهن .

والخمر تعد من أقوي العوامل الدافعة للشيوخ إلي سلوك سبيل التصابي ، فهي تميل بصاحبها إلي المرح والنشوة وفقدان الاتزان ، يقول حسان بن ثابت : (١١٩)

كأساً إذا ما الشَّيْخُ وَالَي بِهَا خمساً تَرَدَّي برداءِ الغُـــلام

أما الأعشي – وهو إمام المتصابين في الشعر القديم – فيقول : (١٢٠)

وطِـــلاء خسُـــروانِـــيٍّ إذا ذَاقَهُ الشيخُ تَغَنَّي وارْجَحَـنْ

وأشد حالات التصابي هي التي يكون دافعها الحب ، ذلك أن الخمر تصبي الشيخ إلي حين ، فهي حالة مرهونة بانتهاء نشوة الخمر وتأثيرها ولكن الحب نشوة متصلة لا يفيق منها الشيخ – غالب – فتظل ملازمة له ، يستنكرها ، ولكنه لا يستطيع لها دفعا كموقف النابغة إذ يقول : (١٢١)

دعَاكَ الهَوَي واستَجْهَلَتْكَ المنازِلُ وكيفَ تصابَي المرءِ والشيب شاملُ

وقول حسان بن ثابت : (١٢٢)

ما التَّصابِي علي المَشيبِ وقد قَـلْـ لَبْتُ من ذاكَ أظْهُـراً وبُطونـا

وقد يشير السياق إلي أن المراد بالتصابي ليس ادعاء الصبا والشباب ، ولكن يقصد به شدة الميل والحنين كقول عنترة يخاطب عبلة : (١٢٣)

ألاَ يا عبلُ قد زادَ التَّصابِي وَلَجَّ اليومَ قَوْمُكِ في عَذابِي

وقد يتمادي الشيخ في التصابي علي الرغم مما يلاقيه من شجن وعذاب ، ومن صد وهجر وإنكار ، يقول أوس بن حجر : (١٢٤)

صَبَوْتَ وهَلْ تَصْبُو ورأسُكَ أشْيَبُ ... وَفَاتَتْكَ بالرَّهْنِ المَرامِقِ زَيْنَبُ (١٢٥)

وَغَيَّرَهَا عن وَصلِهَا الشَّيْبُ إنه (١٢٦) ... شَفِيعٌ إلي بِيضِ الخُدُورِ مُدَرَّبُ

ويقول الأعشي : (١٢٧)

فَإنْ يَكُ هذا الصَّبْي قَدْ مَضَي ... وَتَطْلابُ تَيَّا وتَسْألُها

فَأنِّي تَحَوُّلُ ذا لِمَّةٍ ... وأنِّي لِنَفْسِكَ أمْثالُها

وقوله أيضا : (١٢٨)

أوْصَلْتَ صرمَ الحَبْلِ مِنْ ... سَلْمَي لطولِ جَنابِها

ورجعْتَ بعدَ الشَّيْبِ تَبْـ ... ـغِي وُدَّها بطِلابِها

أقْصِرْ فانك طَالَما ... أوْضَعْتَ في إعْجابِها

وقول السموأل : (١٢٩)

لَمْ يَقْضِ مِنْ حاجةِ الصِّبَا أرَبَا ... وَقَدْ شاكَ الشَّبابُ إذْ ذَهَبا

وعاوَدَ القلبَ بعدَ صِحَّتِهِ ... سُقْمٌ فَلاقَي مِنَ الهَوَي تَعَبَا

ويقول أوس بن حجر : (١٣٠)

تَنَكَّرَتْ مِنَّا بعدَ مَعْرِفَةٍ لَهِي ... وبعدَ التَّصابِي والشَّبابِ المُكْرَمِ

إن الشيوخ لا ينزلون علي حكم المشيب بيسر ، إذ يظل الشيخ يكابر ويعاند إلي أن يهزمه الدهر ، ولذلك لا نري الشيوخ يعترفون بالشيخوخة إلا وهم في أخريات حياتهم ، وبعد أن يفقدوا كل مقومات الحياة والأمل فيها ، والرجاء عندها ، والنابغة يعبر عن هذا المعني أصدق تعبير ، يقول : (١٣١)

فَلَسْتُ بتاركٍ ذِكْرَ التَّصابِـــي وما قَدْ فَات إلا أنْ تُراحَـــا (١٣٢)

ويقول امرؤ القيس : (١٣٣)

تَسلَّتْ عما يَاتُ الرجالِ عن الصِّبا وليْسَ فُؤادِي عَنْ هواهَا بِمُنْسَلِ

فالعصيان والمعاندة من أبرز علامات الشيخوخة ، يقول الأعشي : (١٣٤)

وعاصَيْتُ قَلْبِي بعدَ الصِّبَـــي وأمْسَي وما ان لَهُ مِنْ شَجَـــنْ

كما كانوا يتحايلون علي الشيب الحيل ، وأبرز هذه الحيل كان الخضاب ، ولم يكن مكروها ، قال النبي صلي الله عليه وسلم : " غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد " (١٣٥)

وكان الصحابة يخضبون بالحناء والكتم كأبي بكر الصديق (١٣٦) ولقد عقد ابن عبد ربه بالعقد الفريد جزءا ليس يسيرا ، ذكر فيه طائفة من الشعراء يتحدثون عن الخضاب وذكر حكايات تروي عن الخلفاء والشعراء والأعراب وعلاقتهم بالخضاب ، وكلها يشير إلي أن الخضاب كان عندهم وسيلة لإخفاء الشيب ، وتعليل النفس ، والتمرد علي الزمن ، وما يجره علي الكائن الحي من عوامل الذبول التي تؤذن بالرحيل عن هذه الدنيا ،

كما أن الخضاب علي الرغم من أنه يرفع الروح المعنوية ويطيل من حبال الأمل في الحياة ، فإنه كان يخلف في نفس الإنسان صراعا داخليا يختلف باختلاف شخصيات الناس ، ولكننا لا نستطيع إلا أن نسميه صراعا يستدعي من الذاكرة الماضي البعيد والقريب ، فترتسم علي الملامح تعبيرات مختلفة حسب تداعي الذكريات ، فنري البسمة الهادئة ، أو المنكسرة ، كما نري الدمعة من فرح أو حزن أو شجن ، وقد تلمح الحسرة أو الندم ، وقد تتداخل تلك الأحاسيس فنري نظرة غامضة ساهمة ، ولكننا في النهاية يجب أن نقر بأن الخضاب لم يكن الدافع إليه سوي مخالسة الزمن عدة أعوام طالت أم قصرت ، ولكنها في النهاية تجمل مشروع ، ونفاق موجه ، وخداع للآخرين .

ولكن الخاضب لم يكن يستطيع أن يخدع نفسه إلا ظاهريا فحسب ، فقد ذُكر عن الأصمعي أنه توجه إلي رجل من العرب كانت به فصاحة يستأنس بحديثه ، فوجده يخضب ، فقال له الرجل : " يا ابن أخي قصدتني وأنا أخضب ، والخضاب من مقدمات الضعف ، ولطالما فزعت الوحوش ، وقدت الجيوش ، ورويت السيف ، وقريت الضيف ، وحميت الجار ، وأبيت العار ، وشربت الراح ، وجالست الملاح ، وعاديت القروم ، وعلوت الخصوم ، واليوم يابن اخي ، الكبر وضعف البصر تركا من بعد الصفو الكدر ، وأنشأ يقول :

شيبٌ نُعَلِّلُه كَيْمَـا نُسـر بِـهِ ... كَهَيْئَةِ الثَّوْبِ مَطْوِيًّا علي خِرَقِ

فكنتُ كَالغُصْنِ يَرْتَاحُ الفؤادُ بِهِ ... فَصِرْتُ عوداً بلا ماءٍ ولا وَرَقِ

صبراً علي الدَّهْرِ إنَّ الدَّهْرَ ذو غِيَرٍ ... وأهلُهُ مِنْهُ بينَ الصَّفْوِ والرَّنَقِ (١٣٧)

٧- الاستعطاف بالمشيب :

لقد شاع هذا الغرض بعد ظهور الإسلام ، وبخاصة في صدر الإسلام عندما خرج شباب المسلمين مهاجرين تاركين وراءهم أهليهم وأبناءهم ، وهم الذين كانوا لا يسيحون إلا بداخل شبه الجزيرة العربية ، أو إلي أطرافها إذا أرادوا التوغل في الاغتراب والابتعاد وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة للاستعطاف بالمشيب ، يقول الله سبحانه وتعالي في سورة يوسف عليه السلام : " قالوا يأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ، فخذ أحدنا مكانه " (١٣٨) .

ويقول سبحانه وتعالي في سورة القصص : " قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير " (١٣٩) .

ففي صدر الإسلام كانت ظاهرة الاغتراب والهجرة - بهذه الكثافة - من الظواهر الجديدة علي مجتمع شبه جزيرة العرب ، فشاع الاستعطاف بالمشيب ، إما لرد غيبة الغائب عن والديه اللذين هما في أمس الحاجة إليه كما حدث مع أمية بن حرثان الأسكر ، وكان عمرٌ في الجاهلية ، وأدرك الإسلام هرما ، وقد هاجر ولده " كلاب " إلي البصره في خلافة عمر بن الخطاب ، فأنشأ يقول : (١٤٠)

لِمَنْ شيخانِ قَدْ نَشَدَا كلابَـا ... كتابُ اللهِ انْ حَفِظَ الكتابَا
إذا هَتَفَتْ حمامةُ بَطْـنُ وَجٍّ ... علي بَيْضاتِها ذَكَـرا كلابَـا
تركتَ أباكَ مُرْعشـةً يـــداهُ ... وأمكَ ما تسيغُ لها شَرابَـا

كما قال يستحث الخليفة الثاني لكي يرد له ولده : (١٤١)

سَأَسْتَعْدِي علي الفاروقَ رَبًّا ... لَهُ عمدُ الحجيجِ إلي بساقِ
إنِ الفاروقَ لم يَرْدُدْ كلابًا ... علي شَيْخَيْنِ هامَهُما زواقُ

وقال مالك بن الريب وهو في إحدي غزواته مع سعيد بن عفان يرثي نفسه مستعطفا بشيب والديه : (١٤٢)

وَدَرُّ كَبِيرَيَّ اللَّذَيْنِ كلاهُما ... عَلَيَّ شفيقٌ ما أَلَبَّيا

...

تركتُ بها شَمْطَاء قَدْ دَقَّ عَظْمُها ... تَعُدُّ إذا ما غِبْتُ عنها اللَّياليَا

...

فيا راكباً إما عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِي مالكٍ والرِّيْثَ ألا تَلاقِيَا
وبلِّغْ أخي عمرانَ بُرْدِي ومَنْزِلِي ... وبلغ عَجوزِي اليومَ ألا تَدانِيَا
وسَلِّمْ علي شَيْخَيَّ مِنِّي كلاهما ... وَبَلِّغْ كثيراً وابْنَ عَمِّي وخالِيَا

٨- شيب المرأة :

قال اعرابي في امرأة مسنة :

يا بِكْرَ حواءَ مِنَ الأولادِ ... وأقدمَ العالَم في البلادِ
عُمرك ممدودٌ إلي التنادِ ... فَحَدِّثِينَا بحديثِ عادِ
ومُبْتَدَا فِرعونِ ذي الأوتادِ ... وكيفَ جاءَ السَّيلُ بالأطوادِ . (١٤٣)

إذا كان شيب الرجل قد مُدح أحيانا فإن شيب المرأة لم يمدح أبدا ، ولذلك فإن المرأة تفزع من تقدم العمر ، ولا ترى فيه خيرا ، فهو لا يمثل عندها تمام النضج

واكتمال العقل كما يمثل للرجل ، وذلك لأن المرأة تنضج قبل الرجل ، فالمرأة في سن الثلاثين – مثلا – أنضج وأحكم من رجل في عمرها ، فهي ليست بحاجة إلي تقدم العمر لكي تنال مزية العقل والرزانة ، ومن هنا كان الخوف من الشيب ، ولا نجد شاعرا واحدا أقدم علي مديح شيب المرأة ، بل أصبح ذم شيب المرأة أمرا مألوفا سواء أكانت متزوجة أم لا .

وفي سورة هود يقول سبحانه وتعالي : " قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا " (١٤٤)

وفي أبيات طريفة يرد فيها بها أبو دلف علي جارية الخليفة المأمون عندما سخرت من شيبة يقول : (١٤٥)

تَهَزَّأتْ أنْ رأتْ شَيْبِي فقُلت لها ... لا تَهْزَئِي من يَطُلْ عمرٌ به يَشِبِ

شيبُ الرِّجالِ لَهُمْ زينٌ ومَكْرُمَــةٌ ... وشَيْبُكُنَّ لكنَّ الويلُ فاكْتَئِبِــي

وهذا عامر بن الطفيل يهجو قوما ويعيرهم ببخلهم وانصراف الناس عن الزواج بنسائهم ، وتزويجهم ببناتهم لأنهم ليسوا من الأشراف ، يقول : (١٤٦)

لايَخْطِبون إلي الكرامِ بناتِهِمْ ... وتَشِيبُ أيِّمُهُمْ ولَمَّا تُخْطَــبِ

وكما أن المرأة قد تخفي شعرها اتقاء الفتنة فإنها تخفيه – أيضا – خجلا من بياضه ، يقول الأعشي : (١٤٧)

وَلَقَدْ ساءَهَا البيــاضُ فَلَطَّــتْ ... بحجابٍ من دونِنَا مَسْــدوفِ

الشبـــاب

لقد قدمت الشيب علي الشباب علي الرغم من أن الشباب أول ، والشيب ثان بل آخر ، وذلك لأننا نحب حسني الخواتيم ونعلل أنفسنا بالشباب الدائم ولا نريد أن نتذكر الشيب وآثاره حتي وإن كنا نعي تماما واقعنا ونعايشه لأننا نريد أن نفلت من أسر الواقع ، وشدة وطأته ، وذلك بنسيانه إلي بعض الوقت ، ولذلك آثرت أن أعطي للقارئ هذه الراحة النفسية بتقديم الشيب حتي إذا أتي إلي الشباب نسي الشيب إلي حين .

والشباب هو الفتاء والحداثة ، وهو خلاف الشيب (١٤٨) .

إن أبرز ما يميز الشباب ، الشعر الأسود ، ولقد ذكره الشعراء كدليل علي قوة الشباب وفتوته ، يقول حسان بن ثابت : (١٤٩)

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعْرَ الأسْـ ... ـوَدَ ما لَمْ يُعاصَ كان جُنونَـا

ويقول عبيد بن الأبرص : (١٥٠)

دَرَّ دَرُّ الشَّبابِ والشَّعر الأسْـ ... ـود والرَّاتِكاتِ تَحْتَ الرِّحـالِ

كما أشار الشعراء إلي الشباب باطلاق اسم الفتيان عليهم ، يقول حسان : (١٥١)

في فتيةٍ كسيوفِ الْهِنْدِ أوْجُهُهُمْ ... نحوَ الصَّريخِ إذا ما ثُوِّبَ الدَّاعِـي

ويقول الأعشي مادحاً : (١٥٢)

فَتًى لَوْ يُنادِي الشَّمسَ أَلْقَتْ قِناعَهَا أَوِ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا

وَيُصْبِحُ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إِذا غَدَا عَلَى ظَهْرِ أَنْماطٍ لَهُ وَوَسائِدَا

وكان من عادة الشعراء أن يقرنوا الشباب بالقوة والحكمة إذا كان الموصوف ملكا أو سيدا من سادات القوم ، كقول الأعشي (١٥٣)

قَدْ حَمَلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ ما حَمَلَتْ ساداتُهُمْ فأطاقَ الْحملَ واضْطَلَعَا

وكقول طرفة بن العبد : (١٥٤)

إذا القومُ قالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي عنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

والشباب هو اللهو أيضا وعدم تقدير المسئولية ، والتطرف في الأخذ بأسباب الحياة والتعلق بها ، يقول الأعشي : (١٥٥)

وَلَقَدْ لَبِسْتُ الْعَيْشَ أَجْـ مَعُ وَارْتَدَيْتُ مِنَ الإبـارَهْ

وَأَصَبْتُ لَـذَّاتِ الشَّبَـا بِ مُرَفَّـلاً وَنَعِمْـتُ نَـارَهْ

ويتحدث عبيد بن الأبرص عن الملائمة التي تلومه علي شربه للخمر فيقول : (١٥٦)

هَبْتُ تلومُ وَلَيْسَتْ ساعةَ اللَّاحِي هَلاَّ انْتَظَرْتِ بِهذَا اللَّوْمِ إِصْباحِي

قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلْحانِي وَقَدْ عَلِمَتْ أَن لِنَفْسِي إِفْسادِي وإِصْلَاحِي

كانَ الشَّبابُ يُلَهِّينَا وَيُعْجِبُنَـا فَمَا وَهَبْنَا وَلا بِعْنَا بِأَرْبَـاحِ (١٥٧)

وكما يعرف الشباب بالانصراف إلي اللو والمتعة ، والقبض علي ملذات الحياة

بكافة ألوانها ، فإنهم يعرفون بالشجاعة والإقدام والقوة في مواجهة الشدائد والملمات، يقول عامر بن الطفيل مفاخرا : (١٥٨)

بشبابٍ مِنْ عامرٍ تَضْرِبُ البَيْـ ضَ إذَا الْخَيْلُ بِالْمَضِيقِ اقْشَعَرَّتِ

ويمدح قيس بن الخطيم شبان قومه قائلا : (١٥٩)

بشبابٍ مِنْ عامرٍ تَضْرِبُ السَّيْـ فِ يَبْتَدِرُ الْمَجْدَ شُبَّانُهَـا

وسوف نتحدث الآن عن المعاني التي ذكرها الشعراء معبرين بها عن موقفهم من الشباب كموضوع ، وكظاهرة ألمت بهم وبغيرهم ممن كانوا يعاشرونهم .

١- شباب الندامي :

إن أبرز ما يميز شباب الندامي الفتوة ، فهم دائما من الفتيان الصباح الملاح، الذين تظهر علامات الفرح والمرح والسرور علي وجوههم ، فلا يوجد بينهم عابس أو متكدر ، فالمجلس الذي يجلسونه لا يطيق التقطيب أو الحزن ، ولا حتي رزانة الشيوخ وتعقلهم ، يقول الأعشي عن الشبان الذين ينادمونه : (١٦٠) .

في شبابٍ كمصابيحِ الدُّجَـي ظاهرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ والْفَـرَحْ

إنهم فتية يختالون في ثياب الشباب الصارخة ، وما ثياب الشباب سوي القوة والصحة والاندفاع والحماسة والبهاء والنضارة ، يقول حسان بن ثابت : (١٦١) .

لِلَّـهِ دَرُّ عصابَـةٍ نَادَمْتُهُـمْ يوماً بِجِلِّقَ في الزَّمـانِ الأولِ

يمشونَ في الحُلَلِ المُضاعَفِ نَسْجُها مَشْيَ الجِمالِ إلي الجِمالِ البُزَّلِ

ويقول عبيد بن الأبرص عن الندامي الذين هم أصدق مضاء من السيف : (١٦٢)

شَهِدْتُ بفتيانٍ كرامٍ عَلَيْهِـمُ حُباءً لِمَنْ يَنْتَابُهُمْ غير مَحْجوبِ
وخرقٍ من الفتيانِ أكرم مصدقـاً من السَّيْفِ قد أخيتُ ليسَ بمذروبِ

ويقول الأعشي : (١٦٣)

وفتيانُ صدقٍ لا ضغائنَ بَيْنَهُمْ وقَدْ جعلُونِي مُسْتَمَاحًا مُكَرَّمَا

وقد عرف عن الأعشي أنه دائما يصحب الصبا والشباب ، وأنه يكون يوما قائدا للصبا ويوما مقودا ، يقول : (١٦٤)

وقدْ أقودُ الصِّبَا يوماً فَيَتْبَعُنِـي وَقَدْ يُصاحِبُنِي ذو الشَّرَّةِ الْغزلُ
وقَدْ غَدَوْتُ إلي الْحانوتَ يَتْبَعُنِـي شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شلْشلٌ شَـوِلُ
في فتيةٍ كسيوفِ الْهِنْدِ قد علِمُـوا انْ ليسَ يدفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحِيَلُ

ويتميز الأعشي عن غيره من الشعراء الذين ذكروا شباب الندامي بأنه كان يكثر من الحديث عن مجالس الخمر التي يلقاهم فيها ، ومجلس الخمر فيه من الشرب صورة نمطية ، ولكن الأعشي أضفي عليها كثيرا من العناصر الحضارية التي ألم بها في رحلاته الكثيرة (١٦٥) يقول الشاعر : (١٦٦)

وكأسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ باكرْتُ حَدَّهـا بفتيانِ صدقٍ والنَّواقيصُ تضربُ

وفي عدة أبيات يصفهم الأعشي بكل الصفات التي مدحوا بها متفرقة في

ديوان العرب الكبير ، فنري الأعشي يصفهم بالطهر والعفاف ، وأنهم كالفحول المكرمة التي لا تركب ، كما يصفهم بالخصب والسماحة والنجدة ، والفصاحة ، والإباء والحلم ، وهم كالأسود قوة وشجاعة ومنعة وعلي الرغم من ذلك فهم لا يلبسون إلا الناعم الرقيق منها ، والانصراف إلي المتعة والنعيم لم يصرفهم عن واجبات الفتوة كما عرفها الذوق العربي القديم ، يقول الأعشي : (١٦٧)

وَنَدامَي بيضِ الوجوهِ كَأَنَّ الشَّـ ... شَرْبَ مِنْهُمْ مصاعبٌ أفْنـاقُ
فيهِمُ الخِصْبُ والسماحةُ والنَّجْـ ... دَةُ فِيهِمْ والخَاطِبُ المِصْلاقُ
وأبِيّونَ ما يُسامونَ ضَيْمـاً ... ومكِيثُونَ والحُلُومُ وثـاقُ
وتَرَي مجلساً يَغُصُّ بِهِ المِحْـ ... ـرابُ كالسِّدْرِ والثِّيابُ رِقـاقُ

ويقول الأعشي وأيضا - واصفا مجلس الخمر ومن فيه من الندامي : (١٦٨)

ظَلَلْنا ما بَيْنَ شاوٍ وذي قِـدْ ... رٍوساقٍ ومسمَعٍ مِحْفَـالِ
في شبابٍ يَسْقُونَ ماءَ كَـرْمٍ ... عاقِدِينَ البُرودَ فَوْقَ العَوَالِـي

٢- شباب المرأة :

لقد أكثر الشعراء القدامي من الحديث عن شباب المرأة ، وموضوع الغزل يشيد بشباب المرأة ، فهو مفتاح الجمال ، أو مبرر الغزل والتشبيب عندهم ، فإن كان الشيب مذموما بالنسبة للرجل فهو بالنسبة للمرأة أولي أن يذم ويستهجن ، ولذلك فإن المرأة تكون أكثر تمسكا بشبابها من الرجل ، وأكثر حرصا عليه . فالشباب يمثل عندها الراحة النفسية والثقة بالنفس ، اذ تظل جميلة ومبهرة في

أعين الآخرين وبخاصة عين الشاعر اللماحة . ولذلك فإن هذا الموضوع - شباب المرأة - هو أكثر الموضوعات الشعرية دورانا علي ألسنة الغزلين من الشعراء ، إذ لم يكف شاعر واحد عن الحديث عن هذا الموضوع قديما وحديثا ، وسوف يكون حديثنا موجزا لأنه ضمن موضوع الشباب بشكل عام ، وإن كان يستحق أن يفرد له بحث خاص .

شباب المرأة في الشعر العربي القديم عبر عنه بطريقة مثالية وذلك بتتبع المثل الأعلي لسمات الشباب - أي الجمال - في هذا الوقت ، ولأن الشعر القديم يميل إلي المبالغة التي تؤكد الظاهرة أو الصفة وصولا إلي الكثافة الحسية المطلوبة فان الشعراء كانوا يعمدون إلي المبالغة في نحافة الخصر حتي يكاد ينقصم ، والمبالغة في امتلاء الأرداف حتي تكاد المرأة لا تقوي علي القيام . والمبالغات في اتساع العيون وصفائها ، ونقاء الفم والأسنان وعبق الرائحة الجميلة النفاذة المنبعثة من هذا الفم ، وهم يبالغون في بيان بياض بشرتها وأسنانها ، ونعومة جلدها ، ودلالها وبطء حركتها من النعمة التي ترفل فيها ، ويبالغون في صفة سواد شعرها ، وطوله ، وكثافته ، فالعربي علي أرض الواقع لم يكن يعثر علي هذه الصفات فلم لا يقتنصها من خياله وأحلامه وأوهامه .

ولانه يعلم أنها خيال وأوهام فهو يحوطه ويكثفها بتلك الصور الفنية والبلاغية من محسنات لفظية ، وصور استعارية حتي يصدق نفسه أولا ، ويعيش توافقا نفسيا يفتقده في الواقع ، فالبيئة الصحراوية القاسية الخشنة لم تكن تستطيع أن تحتفظ للمرأة بكل هذه النعومة ، وهذا الجمال الأخاذ ، فقام الشعراء - نيابة عن الطبيعة - بالاحتفاظ بهذه الصور الجميلة في أخيلتهم ،

وتجسيدها ، وتكثيفها في هذه الأبنية الفنية التي نجدها بديوان العرب الكبير ، الشعر .

وسوف نتعرض بايجاز لمجموعة من الأشعار التي تحدثت عن شباب المرأة لأن الغرض هو التمثيل وليس الإحاطة .

يقول عبيد بن الأبرص : (١٦٩)

فَقَدْ أَلِفَ الْخِباءَ علي الْعَـذارَي كأن عُيونَهُنَّ عيـونُ عِيـنِ

ويقول الأعشي مصورا نعومتها وامتلائها : (١٧٠)

حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأنامِـلِ تَرْتَبْـ ـبُ سَخَاماً تَكُفُّـهُ بِخِـلالَ

ويقول عبيد : (١٧١)

ومُـراحٍ ومُسْـرَحٍ وحُلُـولٍ ورعـابِيبَ كالدُّمي وقِبـابِ

ويقول أيضا : (١٧٢)

فِيهِنَّ هِنْدُ التي هَامَ الفؤادُ بهـا بيضاءُ آنسةٌ بالْحُسْنِ مَوْسومَهْ

ويقول قيس بن الخطيم : (١٧٣)

صَفْراءُ أَعْجَلَها الشبـابُ لِداتِهَـا مَوْسومةٌ بالحسنِ غيرَ قَطوبِ

وكان الأعشي من أكثر الشعراء القدامي الذين تحدثوا عن شباب المرأة ، فهي عنده بيضاء طويلة ، منعمة تمشي الهويني بدلال ، يقول : (١٧٤)

غَرّاءُ فَرْعاءُ مَصْقُولٌ عوارِضُهـا تَمْشِي الهُوَيْنَي كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ

وهي شابة شعرها أسود فاحم ، وعيونها واسعة سوداء كعيون الرئم ، ووجهها أبيض صاف ، تتزين بالحلي ، يقول : (١٧٥)

مُبْتَلَّةٌ هيفـــاءُ رُودٌ شبابُهَـــا لها مُقْلَتَا رِئْمٍ وأسْـودُ فاحـــمُ
ووجهٌ نَقِيُّ اللونِ صافٍ يَزِينُـــهُ مع الحُلْيِ لباتٌ لها ومَعاصِـــمُ

والمرأة الشابة يجب أن تتزين لا لأنها تريد أن تكون أكثر جمالا ، فهم قد تغزلوا بالمرأة الغانية التي غنيت بجمالها عن أن تتزين كقول النابغة : (١٧٦)

في إثْرِ غانيةٍ رَمَتْكَ بسَهْمِهَـــا فأصابَ قَلْبَكَ غيرَ أنْ لم تَقْصِدِ

ولكن الحلي وألوان الجواهر كانت بالنسبة للمرأة الشابة من الأمور التي تعين علي جذب الأنظار والإبهار ، يقول الأعشي : (١٧٧)

يومَ أبْدَتْ لنا قُتَيْلَـــةُ عن جِيـــ ـدٍ تَليـــعٍ تَزِينُـــهُ الأطْـــواقُ
وشَتِيتٍ كالأقْحُوانِ جَـلاهُ الطَـــ ـلُّ فيـــه عنويـــةٌ واتِّســـاقُ
وأثيثٍ جَثْلِ النَّبـــاتَ تـــرويـــ ـهِ لعـوبٌ غَرِيـــرةٌ مِفْنـــاقُ

وكقول النابغة : (١٧٨)

والنَّظمُ في سلكٍ يَزين نَحْرَهَـــا ذَهَبٌ تَوَقَّدَ كالشِّهابِ المُوقَـــدِ

وهي بيضاء ، ذلك البياض المشوب بصفرة خفيفة معروفة للبشرة

الآسيوية ، كما تحدثوا عن قوامها الحسن الطويل ، وجيدها الذي يشبه في طوله واستوائه عنق الغزال ، والوجه تزينه النضارة والشباب ، والأسنان بيضاء لامعة كزهر الأقحوان الأبيض الصافي ، والغدائر سوداء تتسدل علي الأرداف الممتلئة اللينة ، كما تزينت أكفها بالخضاب ، وزين معصمها بسوار عريض التف وتماسك حول هذا المعصم الممتلئ الثري ، وبجوار الأوصاف الحسية تعرضوا لصفاتها المعنوية كالدلال وما يصاحبه من إقبال وإعراض ، يقول الأعشي : (١٧٩)

بيضاءُ صَحْوتُها وَصَـفْـ ... ـراءُ العَشِيِّـةِ كَالْعَـقـارَهْ

وَسَبَتْـكَ حيـنَ تَبَسَّمَـتْ ... بَيْنَ الأريكَـةِ والسُّتَـارَهْ

بقوامِهـا الْحَسَـنِ الَّـذِي ... جَمَعَ السَّدادةَ والْجَهَـارَهْ

كَتَمَيُّلِ النَّشْـوان يَـرْ ... فُلُ في الْبَقِيـرَةِ والأزارَهْ

وبجيـدٍ مُغْزِلَـةٍ إلـي ... وجـهٍ تُزَيِّنُـهُ النَّضَـارَه

مَهاً تَـرِفٌ غرِيرُهُ ... يَشْفِي الْمُتَيَّمَ ذا الْحـرارَه

كَنُرَي مُنَـوَّرِ أقْحُـوا ... نٍ قَـدْ تسَامَق في قَـرَارَه

وغدائرٌ سُـودٌ علـي ... كَفَـلٍ تُزَيِّنُـهُ الوِئَـارَه

وَأرَتْكَ كَفًّا فِـي الْخِضَـابِ ... وَمعصماً مِـلْءَ الْجبَـارَه

وإذا تَنازِعُـكَ الحَدِيـ ... ثَتْ وفي النَّفْـس ازْوِرَارَه

مِن سِرِّكَ الْمَكْتُـومِ تَنْـ ... أي عن هَـواك فَلاَ ثِمـارَه

وتُثِيبُ أحيانـاً فَتُـعْـ ... مِعُ ثُمَّ تُدْرِكُهـا الْفَـرَارَه

تَبِلَتْكَ ثُمَّتَ لَـمْ تَنِلْـ ... كَ علي التَّجَمُّلِ والْوَقَـارَه

وكانَتِ الْكاعِبُ الْمُمَنَّعَـةُ الـــ حَسناءُ في زادِ أهْلِها سَبْعَـا

والنابغة الذبياني يذكر صاحبته سعاد ، ويصفها بأنها ليست سوداء الرجل ، وإذا كانت رجلها بيضاء فإن سائرها سيكون أبيض أيضا ، وهي لا تبيع ثمر الأراك في الأسواق فهي عنده بيضاء ناعمة مخدومة ، يقول : (١٨٥)

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أعقاباً إذا انْصَرَفَتْ ولا تَبِيعُ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ الْبرمَـا

ويشبه مقلتها بمقلة الشادن الأحوي الذي ربي في البيت ، وكان من عادتهم تربية الغزلان في البيوت ، وتزيينها بالحلي ، يقول : (١٨٦)

نَظَرَتْ بمقلةِ شادنٍ مُتَرَبِّـبٍ أحْوَي أحَمَّ الْمقْلَتَيْنِ مُقَلَّـد

وقد تطيبت بالزعفران الأصفر ، فصارت ناعمة كالحريرة الصفراء ، لينة كالغصن ، متثنية من النعمة والدلال ، يقول : (١٨٧)

صَفْراءُ كالسِّيراءِ أكمِلَ خَلْقُهـا كَالْغُصْنِ في غُلوائِهِ الْمُتَأوِّدِ

ثم يسترسل الشاعر في وصف تفصيلي للمتجردة زوج النعمان ، فيقول : (١٨٨)

وَالْبَطْنُ نو عكنٍ لَطِيفٍ طَيُّـهُ وَالنَّحْرُ تنفُجُهُ بثـدي مُقْعَـدِ
مَخْطوطَةُ الْمَتْنَيْنِ غيرُ مُفاضَـةٍ رَيَّا الرَّوادِفِ بَضَّـةُ الْمُتَجَرَّدِ
قَامَتْ تُرَاعِي بَيْنَ سجْفَيْ كَلَّـةٍ كالشَّمْسِ يومَ طلوعِهَا بِالأسْعدِ
أوْ دُرَّةٌ صدفيةٌ غَوَّاصُهَـــا بَهِجٌ متَي يَرَهَا يُهل وَيسْجُـدِ
أوْ دُمْيَةٌ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفوعَـــةٌ بُنِيَتْ بأجْرٍ يُشـادُ وقَرْمَـــدِ

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْـــهُ واتَّقَتْنَـــا بِاليَـــدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنانَـــهُ ... عَنَمٌ يكادُ من اللَّطافَـةِ يُعقَـدِ

تَجْلُو بقادِمَتَيْ حمامـةِ أيْكَـةٍ ... بَرَدًا أُسِـفَّ لثاتـهِ بالإثْمِـدِ

كالاقحُوانِ غَداةَ غِبَّ سمائِـهِ ... جَفَّتْ أعاليهِ وأسْفَلُـــهُ نَـدِي

زَعَمَ الهمامُ بِأَنَّ فاها بـــارِدٌ ... عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِـــيُّ المَـــوْرِدِ

زَعَمَ الهمامُ - ولَمْ أَذُقْهُ - أنَّـــهُ ... يشفي بِرِيًّا رِيقِهَا العَطِشَ الصَّدِي

أَخَذَ العَذَارَى عقدَهُ فَنَظَمْنَـــهُ ... مِنْ لؤلؤٍ مُتَتَابِـــعٍ مُتَسَـــرِّدِ

لَوْ أنَّها عَرَضَتْ لأشْمَطَ راهبٍ ... عَبَدَ الإلَهَ صَـــرورَةً متعبِّـــدِ

لَرَنَا لَرُؤْيَتِها وحُسْنِ حَدِيثِهَـــا ... ولَخَالَهُ رَشَداً وإنْ لَـــمْ يرْشُـــدِ

بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَستَطِيـــعُ كَلامَـــهُ ... لَدَنَتْ لهُ أَرْوِيَ الهِضابِ الصُّخَّـدِ

وبِفاحِمٍ رَجْلٍ أثِيثٍ نَبْتُـــــهُ ... كَالكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المُسْنَدِ

والتعبير عن شباب المرأة في موضوع الغزل كان بصور متكررة نمطية لأنها تتبع المثل الأعلي للجمال عند العرب القدامي ، وهي صور في مجملها حسية فيما عدا إشارات طفيفة إلي النواحي المعنوية من ذكر لجمال الحديث ، وجاذبية الصوت ، ودماثة الخلق ، ورقة المشاعر ، وحسن الأحدوثة ، ولكنهم جميعا اتفقوا علي الصور الحسية المنقوشة في الخيال ، وهو خيال أقل ما يوصف به أنه بعيد ن الواقع ، يقول امرؤ القيس : (١٨٩)

هَصَرت بِفودَيْ رَأسِهَا فَتَمايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مفاضَـــةٍ ... تَرائِبُها مَصْقولةٌ كالسَّجَنجَـــلِ

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أسيلٍ وَتَتَّقِـي ... بناظرةٍ مِن وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِـلِ

وجِيدٍ كجِيدِ الرِّيمِ ليسَ بفاحِشٍ ... إذا هِيَ نَصَّتْـهُ ولا بِمُعَطَّـلِ

وفَرعٍ يزينُ المَتْنَ أسودَ فاحِـمٍ ... أثيثٍ كَقِنْـوِ النَّخْلَـةِ المُتَعَثْكِـلِ

غَدائِرُه مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُـلا ... تَضِلُّ المدارِي في مُثَنَّى ومُرْسَلِ

وكَشْحٍ لطيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّـرٍ ... وساقٍ كَأُنبوبِ السَّقِـيِّ المُذَلَّـلِ

ويُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فوقَ فِراشِهَا ... نؤومُ الضُّحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

بِرَخْصٍ غيرِ شَثْـنٍ كَأَنَّـهُ ... أساريعُ ظَبْيٍ أوْ مساويكُ أسحَـلِ

كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياضِ بصُفْـرَةٍ ... غَذَاها نَمِيرُ الماءِ غيرُ المُحَلَّـلِ

تُضِيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنَّهـا ... مَنارةُ مُمْسَى راهِـبٍ مُتَبَتِّـلِ

إلى مِثْلِها يَرْنُـو الحَلِيمُ صَبابَـةً ... إذا ما اسْبَكَرَّتْ بينَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ

وطرفة بن العبد يرسم صورة لخولة لا تبعد عن صور الشعراء السابقين ، فهي أيضا تشبه الشادن ، بل ربما كان طرفة أكثر استغراقا في صورته الفنية من غيره من الشعراء ، فخولة عنده شادن يرعي خميلة ، ويتناول أطراف البرير ، وقد تحلي باللؤلؤ والزبرجد ، يقول : (١٩٠) .

وفي الحَيِّ أحْوَى يَنْفُضُ المردَ شادنٌ ... مُظاهِرُ سِمْطَيْ لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ

خَذولٌ تُراعِـي رَبْرَبـاً بخميلَـةٍ ... تَناوَلُ أطرافَ البَرِيرِ وتَرْتَـدِي

وَتَبْسِمُ عنْ ألمَى كَـأَنَّ مُنَـوَّراً ... تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لهُ نَدِي

سَقَتْهُ إيـاةُ الشَّمْـسِ إلا لِثاتِـهِ ... أسِفَّ ولَمْ تَكْدِمْ عليهُ بِإِثْمِـدِ

وفي معلقة عمرو بن كلثوم نجد هذا الوصف التفصيلي الحسي الدقيق لجسد

المرأة الشابة يقول : (١٩١) .

تُرِيكَ إذا دَخَلْتَ علي خــلاءٍ ... وقَدْ أمنتِ عيونَ الكاشِحِينَا
ذراعَيْ عَيْطَلٍ أدْمــاءَ بكــرٍ ... هَجانِ اللَّوْنِ لمْ تَقْرَأْ جَنِينَــا
وثدياً مثل حُقِّ العاجِ رَخْصاً ... حَصاناً مِنْ أكُفِّ اللامِسِينَــا
وَمَتْنَيْ لَدْنَةٍ سَمَقَــتْ وطالَــتْ ... رَوَادِفُها تَنوءُ بمــا وَلِينَــا
وساريَتَيْ بِلَنْــطٍ لَوْ رُخــامٍ ... يَرِنُّ خشاشُ حَلْيِهِمَــا رَنِينَــا

وعنترة بن شداد – علي الرغم من دماثة ورقة مشاعره – لم يبتعد عن الصورة النمطية الحسية عندما تحدث عن عبلة ، فهي فتاة شابة ، تتمتع بكل الصفات الحسية التي تحدث عنها الشعراء جميعا ، فهم ينهلون من معجم ذوقي اجتماعي واحد ، يقول : (١٩٢)

إذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غروبٍ واضِحٍ ... عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذِيــذُ المطعَــمِ
وكأنّ فارةَ تاجــرٍ بقسيمــةٍ ... سَبَقَتْ عوارضَها عليكَ مِنَ الفَمِ
أو روضةً أنفاً تَضمَّنَ نَبْتَهَــا ... غَيْثٌ قليلُ الدَّمْنِ ليسَ بمعلَمِ
. . . . . .
تُمْسِي وتُصْبِحُ فوقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ ... وأبِيتُ فوقَ سَراةِ أدْهَمَ مُلْجَمِ

وان نستطيع أن نتتبع كل ما قيل عن شباب المرأة في الشعر العربي القديم لأنه يقع داخل موضوع الغزل ، وهو موضوع من أضخم موضوعات

٣- ذم الشبـــاب :

لم يرد ذم الشباب كثيرا عند الشعراء القدامى ، وهذا أمر بدهي ومنطقي ، وهو لم يذم - عند الذين ذموه وعابوه - إلا من جهة أنه مظنة الجهل والطيش ، ولذلك فإن الشعراء الذين عابوا الشباب هم من رؤساء القوم الذين عرفوا بالحكمة وكانوا يقودون قبائلهم بالرأي الصائب ، وبالحلم والرزانة ، وهذه كلها صفات لا تتفق مع نزق الشباب وحميته ، وحماسته واندفاعه ، يقول عروة بن الورد ، وهو عروة الصعاليك الذي كان يلجأ إليه في الملمات : (١٩٣)

وَعَيَّرَنِي قَوْمِي شَبَابِي ولَمَّتِـي ... مَتَى ما يَشَا رَهْطُ امرئٍ يَتَغَيَّرُ

ويقول عامر بن الطفيل : (١٩٤)

فإنَّ مَطِيَّةَ الحِلْـمِ التَّأنِّـي ... علي مَهَلٍ وَالْجَهْلِ الشَّبـابُ

ويقول أيضا : (١٩٥)

ألاَ أبْلِغْ عُوَيْمِرَ عَـنْ زِيـادٍ ... فَإنَّ مَظَنَّةَ الْجَهـلِ الشَّبـابُ
فإنَّكَ سوفَ تَحْلُمُ أوْ تَنَاهَـى ... إذا ما شِبْتَ أو شَابَ الْغُرابُ

ويقول النابغة ، وكان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ : (١٩٦)

فإنْ يَكُ عامرٌ قدْ قالَ جهـلاً ... فَإنَّ مَظَنَّةَ الْجَهـلِ الشَّبـابُ
فَكُنْ كأبِيكَ أوْ كأبِـي بَـراءٍ ... تُوافِقكَ الْحكومَـةُ والصَّـوابُ

٤- الأسف علي الشباب وأنه لا يدوم :

في أبيات تحمل كثيرا من الأسي والأسف يعبر الأعشي عن أن الشباب لا يدوم ، مستشهدا بقصر ريمان الذي تهدم ، يقول : (١٩٧)

وَلَـقَـدْ أراهُ بِغِبْطَـــةٍ في العَيْشِ مُخْضَرّاً جَنابُـهْ
فَحَوَي وما مِنْ ذِي شَبَـــا بٍ دائمٍ أبـــداً شبابُـهْ

وفي لحظة صدق مع النفس يوجه الشاعر حديثه إلي صاحبته مذكرا إياها بأن الشباب لا يصلح أن يكون حليفا لأنه سيخذل حليفه في يوم من الأيام ، يقول : (١٩٨) .

فَاعْرِفِي لِلْمَشِيبِ إذْ شَمِلَ الرَّأْ سَ فإنَّ الشَّبابَ غيرُ حَلِيفِ

. . .

قَدْ لَعِبْنا بِذَا الشَّبابِ زماناً ولَهَوْنَا في مربعٍ ومَصِيفِ

وقال حسان : (١٩٩)

لَمْ تَفُقْها شَمْسُ النَّهارِ بشَـــيءٍ غَيْرَ أنَّ الشَّبابَ لَيْسَ يَـدومُ

والرجل وإن كان يتحايل علي المشيب بخضابه فهو دائم الأسف علي شبابه الضائع، كأسف الأعشي : (٢٠٠)

وإذْ لِمَّتِي كَجَنَـــاحِ الغُـدا فِ تَرْنو الكَعابُ لإعجابِهَـــا

وكقوله أيضا : (٢٠١)

فَلَئِنْ لاحَ في المفـارِقِ شَيْبٌ يا لِبَكْرٍ وأنْكَرَتْنِـــي الْقَوَالِـــي
فَلَقَدْ كُنْتُ في الشَّبابِ أبارِي حِينَ أعدُو مع الصَّبـاحِ ضَلالِـي
أبغِضُ الخائِنَ الكَنُوبَ وأدنِـــي وَصْلَ العَمْيَثَـــلِ الوَصَّـــالِ

وَلَقَدْ أَصْبِي الْفَتَاةَ فَتَعْصِي ... كُلَّ وَاشٍ يُرِيدُ صَرْمَ حِبَالِي

لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَاكَ تَلْهُو بِغَيْرِي ... لا ولا لَهْوُهَا حَدِيثُ الرِّجَالِ

ثم أَذْهَلْتُ عَقْلَهَا رِبَمَا أَذْ ... هَلْتُ عَقْلَ الْفَتَاةِ شِبْهَ الْهِلَالِ

فهذا الأسف والحزن يحمل معه أمنية مستحيلة ألا وهي عودة الشباب ، يقول : (٢٠٢)

بَلْ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئاً ... مِثْلِي زُمَيْنَ أَهُلُّ بُرْقَةَ انْقَدَا

إذ لِمَتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا ... نَدَناً قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي نَدَا

وقد يكون الأسي والأسف من أجل الشيوخ الذين انصرفت عنهم النساء ، فهذا الموقف هو أظهر ما يبديه شاعر كامرئ القيس كانت المرأة عنده ركنا أساسا في حياته وشعره علي السواء ، يقول : (٢٠٣)

أَرَاهُنَّ لا يَحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وَقَوَّسَا

وهكذا فاننا نجد الشعراء القدامي قد تأثروا تأثرا كبيرا بظاهرتي الشيب والشباب واختلفت مواقفهم ومشاعرهم ازاء هاتين الظاهرتين وحسب المواقف التي تتطلب تغليب أحداهما علي الأخري أو تساوي الكفتين وبخاصة في غرض المديح الذي كان يحشد له الشعراء كل طاقاتهم البشرية والذهنية كما نجد أن الشيب والشباب قد ذُما ومُدِحا بالنسبة للرجل ، أما بالنسبة للمرأة فقد كان الاتجاه واضحا، فقد امتدح شبابها دائما وذم شيبها أبدا ، فلم نجد شاعرا واحدا يهجو شباب امرأة لأنهم كانوا يهجون الشباب من جهة النزق والجهل والطيش والخفة

وهذه أمور أحبوها في المرأة وشجعوا عليها ، كما لم نجد شاعرا واحدا مدح شيب المرأة لأنهم ذموا الشيب من ناحية المرض والضعف الجسماني وأنه نذير الموت والفناء وذهاب الجمال والرونق والبشاشة وهذه أمور نفروا منها بالنسبة للمرأة والرجل علي السواء . وإن كانوا مدحوا الرجال الشيوخ بالحكمة فلم يكونوا بحاجة ماسة إلي حكمة المرأة وعقلها ولم يكن هذا الجانب من الجوانب التي تهمهم أو تستهويهم في صفات المرأة بل ربما كانت من الصفات التي تصرفهم عنها لأنها لا تحقق - حينئذ - عنصر التفوق والتميز الذي يسعي إليه الرجل العربي في العصر الجاهلي وقد تكون المرأة في العصر الجاهلي قد حققت مكانة اجتماعية كبيرة وتزعمت - أحيانا - قبيلتها وكان لها دور في الزعامة والقيادة والشرف ولكنها علي أي حال لم تمدح في أشعارهم بهذه الصفات ، ربما مدحوا قدرتها علي انجاب الرجال الأبطال وتنميتهم وتربيتهم لأن ذلك يتسق مع صفاتها الأنثوية التي شغفتهم في المرأة ولكنهم - أبدا - لم يمتدحوا بطولتها أو شجاعتها أو قوتها سواء الجسمية أو العقلية .

المـــراجـــع

(١) لسان العرب لابن منظور – دار المعارف – تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ج٤ ص ٢١٨١ .

(٢) السابق .

(٣) السابق ص ٢٣٧١ .

(٤) العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تحقيق محمد سعيد العريان دار الفكر – ج ٢ ص ٣١٨ .

(٥) السابق ص ٣٢٥ .

(٦) ٦٧ ك غافر ٤٠ – المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٣٩٨ محمد فؤاد عبد الباقي مؤسسة جمال للنشر بيروت لبنان .

(٧) السابق ٥٤ ك الروم ٣٠ .

(٨) لا عجب أن أصبحت كلمات مثل الشبب والشبوب والمشب من الاضداد في اللغة ، ففي لسان العرب ج٤ ص ٢١٨١ " أن الشبب والشبوب والمشب كله الشاب من الثيران والغنم ... والشبب المسن من ثيران الوحش الذي انتهت أسنانه ، وقال أبو عبيدة: الشبب الثور الذي انتهي شبابا ... وكذلك الشبوب ..... وربما قالوا : انه لمشب بكسر الميم ، والتهذيب : ويقال الثور اذا كان مسنا شبب وشبوب ومشب " .

وفي جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي – دار نهضة مصر للطبع

والنشر – الفجالة – القاهرة ص ٥٤٤ . ويقول أبو ذؤيب :

والدهر لا يبقي علي حدثانه

شبب أفزته الكلاب مروع

والشبب هو الثور المسن وهو الشباب أيضا " .

(٩) ديوان حسان بن ثابت دار صادر بيروت ص ١٣ .

(١٠) السابق ص ١٤٠ .

(١١) ديوان عنترة بن شداد – تقديم وشرح محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة القاهرة – طبعة أولي ١٩٦٩ ص ١١٦ .

(١٢) السابق ص ١٦٠ .

(١٣) ديوان عبيد بن الأبرص – دار صادر – بيروت ص ٤٢ .

(١٤) ديوان الاعشي الكبير ميمون بن قيس – تحقيق د. محمد محمد حسين – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤ ص ٢٩٩ .

(١٥) ديوان عروة بن الورد والسموأل – دار صادر – بيروت ص ٩٠ .

(١٦) ديوان عامر بن الطفيل – برواية أبي بكر محمد بن القاسم – الابناري بن أبي العباس أحمد بن يحيي ثعلب – دار صادر بيروت ص ٩٥ ، ص ٩٦ .

(١٧) جمهرة أشعار العرب ص ٢٨٥ لأبي زيد محمد أبي الخطاب القرشي تحقيق علي محمد البجاوي دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة .

(١٨) السابق ص ٦١٩ .

(١٩) ديوان حسان ص ٢٠٧ وما بعدها دار صادر – بيروت .

(٢٠) ديوان عنترة ص ١٨٤ تقديم وشرح محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة طبعة أولي سنة ١٩٦٩ .

(٢١) ديوان الأعشي ص ٦٥ .

(٢٢) السابق ص ٧٣ .

(٢٣) السابق ص ١٦٧ .

(٢٤) السابق ص ١٨٥ .

(٢٥) ١٧ : المزمل ٧٣ (المعجم المفهرس ص ٣٩٨) .

(٢٦) العقد الفريد ج٢ ص ٣٣١ .

(٢٧) ديوان عنترة ص ١٤٨ .

(٢٨) ديوان حسان ص ٤٥ .

(٢٩) السابق ص ٢٢ .

(٣٠) السابق ص ٢٥٥ .

(٣١) ديوان عنترة ص ٢٨٢ .

(٣٢) السابق ص ٢١٨ .

(٣٣) السابق ص ٢١١ .

(٣٤) ديوان عروة بن الورد ص ٤٨ .

(٣٥) ديوان لبيد بن ربيعة العامري – دار صادر بيروت ص ٥٦ ، ص ٥٧ .

(٣٦) ديوان عنترة ص ١٦٧ .

(٣٧) السابق ص ٩٧ .

(٣٨) ديوان الاعشي ص ٢٢١ .

(٣٩) جمهرة أسعار العرب في الجاهلية والاسلام ص ٥٥٥ .

(٤٠) السابق ص ٥٥٩ .

(٤١) السابق ص ٥٣٤ ، ص ٥٣٥ .

(٤٢) السابق ص ٥٩٩ .

(٤٣) ديوان عبيد بن الابرص ص ٦ .

(٤٤) السابق ص ٦٩ وما بعدها .

(٤٥) السابق ص ٧١ .

(٤٦) جمهرة أشعار العرب ص ٣٩٢ ، ص ٣٩٣ .

(٤٧) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي دار الباز دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ١٩٨٠. ص ١٩ ، ٢٠ . ونسبة البيت إلي أعصر مشكوك فيها انظر الكتاب تحقيق محمود شاكر ١ / ٣٣ .

(٤٨) ديوان لبيد ص ٤٦ / ٤٧ .

(٤٩) ديوان الاعشي ص ١١٥ .

(٥٠) السابق ص ٩٥ .

(٥١) السابق ص ٢٢٣ .

(٥٢) السابق ص ٢٤٥ .

(٥٣) السابق ص ٢٦٧ .

(٥٤) ساسا : هو ساسان ملك الفرس ومورق ملك الروم .

(٥٥) شهنشاة تعني ملك الملوك .

(٥٦) الامة : النعمة . القطوط : الصك بالجائزة . يأفق : يعطي بعضا أكثر من بعض .

(٥٧) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٧ كما قيل أن الرسول صلعم قد نهي عن اقتلاع الشعر الاشيب وقال هو نور المؤمن .

(٥٨) السابق ص ٣٣١ .

(٥٩) ديوان لبيد ص ٨٩ .

(٦٠) السابق ص ١٤٠ .

(٦١) ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د. ناصر الدين الاسد ، دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ٢٣٩ .

(٦٢) ديوان عنترة ص ٢٨٠ .

(٦٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ٨١ .

(٦٤) جمهرة أشعار العرب ص ٤٧٤ .

(٦٥) ديوان لبيد ص ١٣٦ .

(٦٦) ديوان الاعشي ص ١٥٧ .

(٦٧) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٨ .

(٦٨) جمهرة أشعار العرب ص ٤٢١ وما بعدها .

(٦٩) السابق .

(٧٠) السابق .

(٧١) هذا البيت يروي هكذا :

فيضحي قريبا غير ذاهب غربة

وأرسل أيماني ولا أتحلل

والبيت بهذه الرواية يستقيم معناه مع البيت السابق عليه أما القارظ العنزي هذا فهو رجل من بني عنزة خرج يجتني القرظ فلم يعرف له خبر وهو يضرب به المثل فيمن لا يرجي ايابه .

(٧٢) جمهرة اشعار العرب ص ١٧٣ .

(٧٣) السابق ص ٤٢١ وما بعدها .

(٧٤) أشوي : أي أخطأ وأشواه : أي أصابه ولم يصب مقتله .

(٧٥) جمهرة أشعار العرب ٤٢١ وما بعدها .

(٧٦) ديوان عبيد ص ٢٦ .

(٧٧) السابق ص ٣٩ .

(٧٨) السابق ص ٢٤ .

(٧٩) السابق ص ١١١ .

(٨٠) السابق ص ١٢٤ .

(٨١) السابق ص ١٠٨ .

(٨٢) السابق ص ١١٤ .

(٨٣) السابق ص ١٤٦ وما بعدها .

(٨٤) أخلقت أي مضت لي سنون بعد سنين .

(٨٥) أي تستخفين بي .

(٨٦) الأقراب : الخواصر .

(٨٧) ديوان لبيد ص ٤٧ .

(٨٨) جمهرة أشعار العرب ص ٤٧٧ وما بعدها .

(٨٩) ديوان الاعشي ص ١٣٣ .

(٩٠) السابق ص ١٤٥ .

(٩١) السابق ص ١٥١ .

(٩٢) السابق ص ٢٠٥ .

(٩٣) السابق ص ٢٤٥ .

(٩٤) السابق ص ٢٧٧ .

(٩٥) السابق ص ٥٣ .

(٩٦) ديوان أوس بن حجر تحقيق د. محمد يوسف نجم – دار صادر بيروت طبعة ثالثة ١٩٧٩ ص ٣٩ .

(٩٧) ديوان لبيد ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥ .

(٩٨) ديوان حسان ص ٩٥ .

(٩٩) العنقر : البردي ويعني أن أصولهم كنبات البردي لا ثبات لها .

(١٠٠) ديوان عنترة ص ٢٤٨ .

(١٠١) السابق ص ١٦٧ .

(١٠٢) السابق ص ٢١٤ .

(١٠٣) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٩ وما بعدها .

(١٠٤) ديوان لبيد ص ٤٦ .

(١٠٥) السابق ص ٨٨ .

(١٠٦) السابق ص ١٤٨ .

(١٠٧) السابق ص ٢٢٥ .

(١٠٨) المعلقات السبع بشرح الزوزني - المكتبة التجارية الكبري بمصر ص ١٠٢ .

(١٠٩) جمهرة أشعار العرب ص ٦٧٥ .

(١١٠) السابق ص ٥٨١ من قصيدة يرثي بها ابن اخته اللجلاج .

(١١١) طبقات الشعراء ص ٢٠ محمد بن سلام الجمحي دار الباز - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٠ .

(١١٢) ديوان الاعشي ص ٦٥ .

(١١٣) السابق ص ١٩٣ .

(١١٤) ديوان النابغة ص ٣٢ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - طبعة ٢ .

(١١٥) طبقات الشعراء ص ٢١ .

(١١٦) لسان العرب ج٤ ص ٢٣٩٨ .

(١١٧) القاموس المحيط ج٤ ص ٣٥٣ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي دار الجيل المؤسسة العربية الطباعة والنشر بيروت .

(١١٨) المعجم المفهرس ص ٦٤٢ ٣٣ك يوسف ١٢ .

(١١٩) ديوان حسان ص ٤٠٩ .

(١٢٠) ديوان الاعشي ص ٤٠٩ .

(١٢١) ديوان النابغة ص ١١٥ .

(١٢٢) ديوان حسان ص ٢٥٢ .

(١٢٣) ديوان عنترة ص ١٠٣ .

(١٢٤) ديوان أوس ص ٥ .

(١٢٥) الرهن المرامق الذي بآخر رمق وهو يعني أنها فارقته وقلبه عندها .

(١٢٦) الهاء في أنه للشباب ، أي أن الشيب غيرها وأن الشباب شفيع إلي بيض الخدود .

(١٢٧) ديوان الاعشي ص ٢١٣ .

(١٢٨) السابق ص ٢٠١ .

(١٢٩) ديوان السموأل ص ٧٦ .

(١٣٠) ديوان أوس ص ١١٧ .

(١٣١) ديوان النابغة ص ٢١٤ .

(١٣٢) تراها : أي تموت .

(١٣٣) جمهرة أشعار العرب ص ١٣١ .

(١٣٤) ديوان الاعشي ص ٦٧ .

(١٣٥) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٤ .

(١٣٦) السابق.

(١٣٧) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٥ .

(١٣٨) المعجم المفهرس ص ٣٩٨ ٧٨ك يوسف ١٢ .

(١٣٩) السابق ٢٣ك القصص ٢٨ .

(١٤٠) طبقات الشعراء ص ٧٢ ، ص ٧٣ .

(١٤١) السابق.

(١٤٢) جمهرة أشعار العرب ص ٦٠٩ .

(١٤٣) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٩ .

(١٤٤) المعجم المفهرس ص ٢٩٨ ٧٢ هود ١١ .

(١٤٥) العقد الفريد ج٢ ص ٣٢٧ .

(١٤٦) ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٩ .

(١٤٧) ديوان الاعشي ص ٣٦٣ .

(١٤٨) لسان العرب ج٢ ص ٢١٨٠ .

(١٤٩) ديوان حسان ص ٢٥٢ .

(١٥٠) ديوان عبيد ص ١١٥ .

(١٥١) ديوان حسان ص ١٤٩ .

(١٥٢) ديوان الاعشي ص ١١٥ .

(١٥٣) السابق ص ١٥٩ .

(١٥٤) جمهرة أشعار العرب ص ٣٢١ .

(١٥٥) ديوان الاعشي ص ٢٠٥ .

(١٥٦) ديوان عبيد ص ٥٢ .

(١٥٧) هذا البيت ينسب أيضا إلي أوس بن حجر وهو بديوانه ص.١٤٠ .

(١٥٨) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٣ .

(١٥٩) ديوان قيس بن الخطيم ص ٧٣ تحقيق د. ناصر الدين الاسد دار صادر بيروت طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ .

(١٦٠) ديوان الاعشي ص ٢٩٣ .

(١٦١) ديوان حسان ص ١٧٩ .

(١٦٢) ديوان عبيد ص ٣٨ .

(١٦٣) ديوان الاعشي ص ٣٤٣ .

(١٦٤) السابق ١٠٩ .

(١٦٥) أنظر السمات الحضارية في شعر الاعشي د. زينب العمري مطبوعات دارة الملك عبد العزيز – الرياض ١٩٨٣ .

(١٦٦) ديوان الاعشي ص ٢٥٣ .

(١٦٧) السابق ص ٢٦٥ .

(١٦٨) جمهرة أشعار العرب .

(١٦٩) ديوان عبيد ص ١٤٦ .

(١٧٠) ديوان الاعشي ص ٥٥ .

(١٧١) ديوان عبيد ص ٤٢ .

(١٧٢) السابق ص ١٣٥ .

(١٧٣) ديوان قيس بن الخطيم ص ٥٨ .

(١٧٤) ديوان الاعشي ص ١٠٥ .

(١٧٥) السابق ص ١٢٧ .

(١٧٦) ديوان النابغة ص ٩٠ .

(١٧٧) ديوان الاعشي ص ٢٥٩ .

(١٧٨) ديوان النابغة ص ٩١ .

(١٧٩) ديوان الاعشي ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٥ .

(١٨٠) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٦ .

(١٨١) ديوان الاعشي ص ٢١٣ .

(١٨٢) السابق ص ٢٥٥ .

(١٨٣) ديوان قيس بن الطيم ص ٨٠ .

(١٨٤) ديوان أوس بن حجر ص ٥٥ .

(١٨٥) ديوان النابغة ص ٦١ .

(١٨٦) السابق ص ٩١ .

(١٨٧) السابق.

(١٨٨) السابق ص ٩٢ وما بعدها .

(١٨٩) جمهرة أشعار العرب ص ١٢٦ وما بعدها وينظر أيضا ديوان امرئ القيس ص ١٥ وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ط ٤ .

(١٩٠) المعلقات السبع بشرح الزوزني ص ٥٤ وما بعدها .

(١٩١) السابق ص ١٤٣ وما بعدها .

(١٩٢) السابق ص ١٦٧ .

(١٩٣) ديوان عروة بن الورد ص ٤٠ .

(١٩٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٠ .

(١٩٥) السابق ص ٢٢ .

(١٩٦) ديوان النابغة ص ١٠٩ .

(١٩٧) ديوان الاعشي ص ٢٣٩ .

(١٩٨) السابق ص ٢٦٣ .

(١٩٩) ديوان حسان ص ٢٢٥ .

(٢٠٠) ديوان الاعشي ص ٢٢١ .

(٢٠١) جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

(٢٠٢) ديوان الاعشي ص ٢٧٧ .

(٢٠٣) ديوان امرئ القيس ص ١٠٧ .